

17

لذات عالة للحب



Looloo

www.dvd4arab.com

المؤسسة العربية الحديثة

نسخة المهرجانات

www.dvd4arab.com

الطبعة الأولى

يقلم : هـ. ج. ويلز
ترجمة وإعداد :
د. أحمد خالد توفيق

وادي العناكب

المؤلف

مازلنا إذن مع (هيربرت جورج ويلز) الكاتب الإنجليزي فائق الشهرة .. وكنا قد تحدثنا عنه في عجالة في مقدمة الكتيب السابق ، ولهذا نواصل الحديث عنه ها هنا من وجهة نظر أخرى ..

في صبا هذا الكاتب قذف به أحد الأولاد الكبار في الهواء .. ومن ثم سقط أرضاً وتهشمت ساقه . وكان على الصغير أن يرقد في الفراش شهوراً يتلوى ألماً ..

تبدو هذه كارثة .. لكنها بالنسبة لـ (هـ . جـ . ولز) كانت أسعد حوادث حياته ؛ لأنها أرغمته على ممارسة التسلية الوحيدة للمقعدين قبل اختراع التلفزيون : القراءة .

وكانت نشأة (ولز) فقيرة للغاية ؛ بدأ حياته في محل لببيع القماش - وهو ما استوحى منه تحفته الروائية (كيبس) - ثم في صيدلية .. وفي النهاية فر من هذا الجحيم وكتب خطاباتاً يستعطف فيه ناظر مدرسته القديمة .. وقبل هذا الأخير أن يعين (ولز) معلماً عنده .

بعد هذا أصيب بثقب في رنته بعد مباراة كرة قدم عنيفة .. وكان لإصابته الأولى الفضل في إرغامه على (القراءة) .. أما إصابته الثانية فأرغمته على (الكتابة) ..

خمسة أعوام ظل يكتب فيها ، انتهت بأن حرق كل ما كتب لرداعته !.. ثم إنه تزوج وواصل محاولات الكتابة في حماس غير مسبوق إلى درجة إخراج كتابين طويلين كل عام .. وبدأ يرضى عن أعماله ..

وفي كتاباته نجد تنوعاً غير عادي في مجالات اهتمامه .. فهو مولع بعلم الأحياء لهذا كتب (مرجفا في الأحياء) عام ١٨٩٣ .. وهو يعشق الخيال العلمي .. (العنصرية

روايات عالمية الجيب

سلسلة جديدة ، تقدم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمي ، في مختلف صنوفه ..

من الألفاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

واليك ..

د. نبيل فاروق



في الهاوية

المعمروقة (عام ١٨٩٥ .. و (آلة الزمن) عام ١٨٩٥) جزيرة
 د . مورو (عام ١٨٩٦ .. (الرجل الخفى) عام ١٨٩٧ ..
 (حرب العوالم) عام ١٨٩٨ .. (أول رجال على القمر) عام
 ١٩٠١ ، ثم كتب عن المشكلات الاجتماعية (توقعات) عام
 ١٩٠١ .. (كيس) عام ١٩٠٥ .. (يوتوبيا الجديدة) عام
 ١٩٠٥ .. و (تونى يانجى) و (أنا فيرونكا) عام ١٩٠٩
 وفى عام ١٩٠٣ انضم للحركة الغابية (الحركة الاشتراكية التى
 تدعو للتغيير التدريجى ، والتى كان برنارد شو عضواً فيها) ..
 وفى عام ١٩١١ بدأ خط جديد من خطوط إبداعاته يتمثل فى
 قصصه : (ميكياقللى الجديد) - (الزوج) - (أصدقاء عاطفيون)
 - (الزوجة لمسير قراك هارمان) .
 و أيد (ولز) الحرب العالمية الأولى على أساس أنها (الحرب
 التى تنتهى الحروب جميعاً) ، وقاد حملة الدعاية ضد الألمان فى
 أثناءها ، لكن هذا لم يمنعه - عام ١٩١٦ - من كتابة قصة شهيرة
 هى (مستر برتلنج يتبين الأمر) ..
 بعد الحرب كتب (خلاصة التاريخ) عام ١٩٢٠ .. ثم (علم
 الحياة) عام ١٩٢٩ .. ثم (العمل والثروة وسعادة البشرية) عام
 ١٩٣٢ .. كان يشر بعالم واحد متكامل يبعد شبح البربرية
 والعدمية ..
 وفى عام ١٩٣٤ كتب قصة حياته وسماها (تجربة فى الحياة) .
 وجاءت الحرب العالمية الثانية لتفقد : إيمانه بالجنس البشرى
 الذى فقد التحكم فى ذاته ، ومشى بخطا حثيثة نحو الهلاك ..
 وتوفى المبكر عام ١٩٤٦ بعد ما أثرى الأدب العالمى بقصص
 ومقالات لا تنسى .. ربما لم تكن عسيقة كلها .. لكنها بالتأكيد فاتنة
 الإمتاع .

د . أحمد خالد

١ - فى الهاوية ..

وقف الملازم يتأمل الكرة المعدنية وهو يلوك قطعة من جذر الصنوبر ..

وتسائل :

- « ما رأيك يا (ستيفنز) ؟ »

رد (ستيفنز) بأسلوب رجل يتمتع بعقل متفتح :

- « إنها فكرة .. »

- « أعتقد أنها ستتهدم .. »

- « يبدو أنه قد أجرى حساباته بدقة .. »

قال الملازم :

- « ولكن فكر فى الضغط .. إنه يساوى أربعين رطلاً على كل بوصة عند سطح الماء .. ويتضاعف على عمق ثلاثين قدماً .. وعند تسعمائة قدم ، يصير أربعين ضعفاً .. وعلى عمق ميل يصير مائتين وأربعين ضعفاً .. معنى هذا يا (ستيفنز) أن الضغط على كل بوصة سيكون طناً ونصف طن ..!.. والرجل ينوى أن يهبط إلى عمق خمسة أميال .. »

- « يبدو كثيراً » .. قال (ستيفنز) :

- « لكن هذا الصلب سميك حقاً »

لم يأت الملازم بركة ..

كان الرجلان يتحدثان عن كرة من الصلب لها محيط تسعة أقدام كأنها قذيفة مدفع عملاق ، وكانت معلقة على روافع تتدلى من ونش ضخمة ، مما أعطى للقارب مظهرًا أثار الحيرة فى نفس كل بحار يحترم نفسه يرى هذا المنظر .. منذ أن غادر القارب حوضه فى (لندن) حتى وصل إلى مدار الجدى ..

كانت هناك نافذتان دائريتان سميكتا الزجاج فى موضعين من الكرة ، وكانت واحدة منهما مفتوحة الآن عن طريق انتزاع المسامير التى تثبت إطارها ..

كان الرجلان قد رأيا قلب الكرة اليوم .. كانت مملوءة بالوسائل الهوائية .. وقد تم تغليف كل شيء بهذه الوسائل حتى جهاز (مايرز) المخصص لامتناس حمض (الكربونيك) ، وتجديد الأوكسجين الذى سيستهلكه الركاب ..

كان عدد الوسائل هائلاً حتى إنك يمكن أن تطلق رجلاً من ماسورة مدفع إلى داخل الكرة فلا يصاب بسوء .. إن الضرورة تحتم هذا ما دام هناك إنسان سيدخل هذه الكرة عبر النافذة المفتوحة ، وسيتم غلقها عليه بإحكام ويتم تطويحه إلى البحر من فوق القارب .. ليغرق على عمق خمسة أميال .. كان الملازم يشعر بالمسأم ، وقد

أحسن أن الله قد أرسل له (سيتفنز) كي يثرثر معه
عن الموضوع مراراً وتكراراً ..
قال الملام :

- « إن رأيي هو أن الزجاج سيتهشم تحت الضغط ..
لقد استطاع (دوبريه) أن يجعل الصخور تندفع كالماء
تحت الضغط العالي ولو لاحظت كلامي »
- « وماذا لو تهشم الزجاج ؟ »
- « سيندفع الماء إلى الداخل كقذيفة حديدية .. إن
اندفاعه سيكون كالرصاصة .. سيمزق رئة الرجل
ويفجر أذنيه .. »

احتج (سيتفنز) :

- « إن لك خيالا مفصلاً أكثر من اللازم .. »
- « هو مجرد تقرير لما لا مفر منه .. »
- « وماذا عن الكرة ؟ »
- « ستخرج منها بضع فقاعات ثم تستقر هناك على
القاع إلى يوم الدينونة .. وسينتثر جثمان (السيد)
المسكين كقطعة من الزبد فوق شريحة خبز .. »
وكأنما راق له التشبيه الأخير كرره في استمتاع :
- « كقطعة زبد فوق شريحة خبز .. »
- « أي زبد وأي خبز ؟ »

كان هذا هو صوت (السيد) ذاته إذ وقف
وراءهما ، وقد تسربل بثياب بيض ، وسيجار بين
أسنانه ، وعيناه تبتسمان من تحت حافة القبعة التي
يرتكبها ..

- « أترك تنمر يا (وايردج) كالعادة من راتب
ضباط الجيش الصحيح ؟ إني سأبدأ على الفور .. يجب
أن نعد الرافعة اليوم .. فهذه السماء الصافية مناسبة
تماماً لإلقاء اثني عشر رطلاً من الحديد والرصاص ..
ألا ترى هذا ؟ »

قال (وايردج) :

- « إن هذا لن يكون ذا تأثير عليك .. »
- « بالطبع لا .. فبعد اثنتي عشرة ثانية سأكون على
عمق ثمانين قدماً .. وعندئذ لن أرى ذرة تتحرك حتى
لو كانت العواصف تزار فوق السطح ، والأمواج توشك
أن تلامس السحاب ..، إن ما ينتظرني هناك هو ... »
ومرت هنيهة من الصمت .. كان يبحث عن لفظة
مناسبة .. ثم أرفف :

- « .. السلام .. »

غمغم (وايردج) :

- « لن أهبط في هذا الشئ الملعون ؛ ولو مقابل
عشرين ألفاً من الجنيهاً » .

هتف (السيد) في مرج وهو يبصق على فقاعة
على سطح الماء :

- يا لك من شاب متفائل !

ثم أردف شارحاً :

- « أولاً : سيتم إحكام غلق الكرة على .. ثم أضىء
وأطفىء النور الكهربى ثلاث مرات .. عندئذ ترفعى هذه
الرافعة لأعلى بكل أثقال الرصاص هذه معلقة منى ..
وتسقطنى إلى القاع مدلى من حبل يلتفت حول هذه
البكرة .. وقد آثرنا استعمال الحبل بدلاً من السلك ؛ لأنه
أسهل فى قطعة عند الضرورة وحين تهبط الكرة إلى
الماء سوف تطفو بسبب الهواء بداخلها .. لكن الأثقال
الرصاصية ستجذبها لأسفل .. ويظل الحبل معلقاً بها .. »
- « ولكن ما فائدة الحبل الذى يعلق الأثقال ؟ »

- « لتحاشى تهشم الكرة على القاع .. فالهبوط
سيكون سريعاً .. ميلاً بعد ميل .. وهنا يأتى دور
الأثقال التى ستلمس القاع أولاً .. ستهبط الكرة نفسها
ببطء ؛ لأن الأثقال تتلقى الصدمة الأولى .. ثم تبدأ الكرة
فى الارتفاع ، وهنا يبدأ دور الميكانيكية التى صممناها ..

سأظل على القاع نصف ساعة ألاحظ ما حولى ؛ بعدها
تخرج سكين آلية تمزق الحبل الذى يربط الكرة إلى
الأثقال ، وسأرتفع أنا إلى أعلى كفقاعة فى زجاجة
صودا .. »

- « ولنفرض أن حيواناً بحرياً أفسد هذه الآلية التى
تحدث عنها ؟ »

- « ستكون هذه دعوة قوية لى كى أتوقف .. »

قالها (السيد) وأدار ظهره للماء كى يتأمل الكرة .

★ ★ ★

ألقوا بـ (السيد) من فوق ظهر القارب فى الحادية
عشرة ..

كان النهار يتألق بضوء هادئ صاف ، وتألق الضوء
الكهربى خلف زجاج الكرة ثلاث مرات .. عندها بدءوا
فى إزاله ببطء إلى سطح الماء ..

لحظتها بدت الكرة التى كانت هائلة الحجم فوق
السطح صغيرة إلى حد لا يصدق ، وبدت نافذتها وهى
تندرج كعينين حائرتين زائفتين بين جموع البحارة
الواقفين على السطح ..

صاح القائد :

- « هل أنتم مستعدون ؟ »

- « آى آى يا سيدى (*) » !

- « دعوها تهبط إنن ! »

وعندئذ قام أحدهم بقطع حبل كان يمنع الكرة من الهبوط وراء الأتقال .. بدا وقتها كأن الكرة ثابتة لا تتزحزح .. وفجأة .. انقلب الماء من فوقها واستطاعوا أن يروها من تحته تتراقص صورتها باستمرار .. ثم اختفت نهائياً ..

والآن كان على القارب أن يتعد ميلين عن هذا الموقع ، خشية أن تصطدم الكرة به إبان صعودها .. كانت شمس (ديسمبر) تملأ متن السماء الآن ، وقد ازدادت حرارة الجو إلى حد ملحوظ .. ومرت نصف ساعة .. عندئذ بدأ التوتر ..

راح الجميع يرمقون النقطة التى ينتظرون (الاستيد) عندها .. لكن لا كرات .. دقيقة أخرى .. ولا شيء ..

- « هلم يا (الاستيد) .. اصعد ! »

قالها بحار ذو شعر صدر كثيف ، وشاركه الآخرون فى الهتاف كأنما ينتظرون رفع ستار مسرح ... نظر لهم القومندان فى توتر .. وقال :

- « أنا لا أومن بالرياضيات .. ربما كانت الحسابات خاطئة .. »

(*) نعم بلغة البحر .

لم يغلق أحد .. وساد الصمت دقيقتين أخريين .. الآن تعتلى الشمس ذروة السماء وقد مرت عشرون دقيقة .. الجميع ينتظر الكرة .. دون أن يجروا أحد على أن يهمس بأن الأمل قد مات وكان (وايردج) أول من أعطى تلميحاً لذلك :

- « لم أثق قط بتلك النافذة .. »

قال (ستيفنز) فى هلع :

- « يا إلهى الرحيم ! .. أنت لا تعتقد أن »

- « حسن ! .. »

قالها (وايردج) تاركاً الباقي لخيال محدثه .. وعندما جاء منتصف الليل راح القارب يدور بهبطاً حول البقعة التى كان على الكرة أن تبرز منها .. وراح الضوء الكهربى يمسح المياه مراراً دون جدوى .. غمغم (وايردج) :

- « لو أن النافذة لم تنهشم .. فهذا يعنى ما هو أسوأ .. يعنى أن الجزء الميكانيكى لم يعمل كما يجب .. وبمعنى هذا أن الرجل حى الآن على عمق خمسة أميال فى البرد والظلام .. حيث لم يصل إنسان قط منذ خلق الله الماء .. إنه جائع يعانى الطوى .. ظمآن خائف .. »

ثم صاح فى هلع :

- « أية مخلوقات تافهة نحن ! أية شياطين صغيرة
متهورة ! كل هذا الماء تحتنا وحولنا وفوقنا !.. »
فجأة .. ظهر ضوء أبيض متجهًا نحو السماء ..
حتى غدا نقطة بيضاء بين النجوم .. ثم راح ينحدر
حتى غاب وسط التوهج الفوسفوري للمياه ..
هنا تصلب (وايبيرج) فاغرا فاه فاردًا ذراعيه ،
ولوح بعد هنيهة بذراعه .. وصرخ :

- « (الستيد) على مرمى البصر ! »

قالها لمن حوله وهرع قاصدًا الكشافات :

- « لقد رأيته !.. رأيته بين النجوم !.. لقد قذف من
الماء .. هلموا اجلبوا الضوء ها هنا .. سنراه طافية
فوق الماء حالًا .. »

لكنهم لم ينقذوا المستكشف قبل الفجر ..

أنزلوا حبل الرافعة وربطوا الخطاف إلى الكرة .. ثم
رفعوها إلى ظهر القارب وقاموا بحل المسامير التي
كانت تغلق الكوة .. ثم إنهم راحوا يختلسون النظر إلى
داخل الكرة حيث عم ظلام دامن ..

كان الهواء حارًا بالداخل ، وقد بدأ المطاط المحيط
بإطار الكوة يسيل نوعًا .. ولم تكن ثمة إجابة
لأسئلتهم الملهوفة ولا صوت ينم عن الحركة .. بدا لهم

(الستيد) قائمًا بلا حراك مكومًا في قاع الكرة ، وعندما
زحف طبيب القارب إليه بالداخل لم يكن بوسع أحد معرفة
هل هو ميت أم حي .. لكن وجهه كان مبتلًا بالعرق ..
وفي قمرته أدرك القوم أنه ليس ميتًا .. لكن في
حالة من الانهيار العصبي الكامل ، ثم إن جسده ملئ
بالسحجات العنيفة .. ولقد اقتضى الأمر أسبوعًا كاملًا
حتى استطاع أن يتكلم .. ويحكى قصته ..

كان أول ما قال هو أنه سيعود .. وأن الكرة يجب أن
تطور بحيث تسمح له بالتخلص من الحبل بنفسه ..
وكان هذا كل شيء ..

- « ظننتم أنني لن أجد شيئًا سوى بعض الفقاقيع ..
سخرتم مني وهأنذا قد اكتشفت عالمًا جديدًا ! »

وراح يسرد قصته بشكل مفكك ، وبالتالي سيكون من
المستحيل أن ننقل كلماته حرفيًا .. لكننا سننقل خلاصة
ما قال ..

★ ★ ★

بدأ الأمر بداية شنيعة - والكلام هنا - (الستيد) - فقد
راحت الكرة تتدحرج ؛ حتى شعر بأنه ضفدع حبيس في
كرة قدم .. ولم يكن بوسعه سوى أن يرى السماء
والقوم المحتشدين فوق السطح ..

وفجأة شعر بقدميه ترتفعان ، ثم راح يتدحرج رأساً
على عقب فوق الوسادة الهوائية ..

ثم توقف التآرجح واستقامت الكرة .. واستجمع هو
شبات نفسه : ليجد الماء حوله مزاجاً من الأخضر
والأزرق ، وثمة شعاع ضوء قادم من أعلى حيث
السطح .. لكن الماء ، راح يزداد سواداً وسواداً حتى
بدا كسما منتصف الليل اللهم إلا من مسحة خضراء ..
وراحت أشياء شفافاً تلتصق في الماء من حوله ثم تتفجر
حين تدنو منه ..

وذلك الإحساس بالسقوط !.. إنه يشبه ما تشعر به
حين يبدأ المصعد في الهبوط .. لكنه دائم لا يتوقف ..
وعليك أن تتصور كيف يكون ذلك ..

كانت تلك هي المرة الأولى التي يندم فيها على
تجربته .. وأدرك أن الفرص كلها ضده .. خذ عندك
مثلاً أسماك الحبار العملاقة التي تعيش هنا .. لو أن
إحداها أمسكت بالكرة ولم تتخل عنها .. ثم هل تم
اختبار الميكانيكية بشكل مرض ؟

على كل حال لم تعد هناك قيمة الآن لرغبته في
البقاء أو الاستمرار ..

الظلام في كل مكان حوله .. فقط الضوء المنبعث من
الكرة يسقط من حين لآخر على حشد من الأسماك أو

شيء ما يفرق .. وأحسن أن حرارة الكرة تزداد بفعل
احتكاكها بالماء .. واضح أنهم لم يضعوا هذا في
حساباتهم ..

إن العرق يغمره .. ومن كوة النافذة يرى فقائيع
صغيرة تتصاعد لأعلى بسرعة .. إنه الغليان !.. زجاج
النافذة حار .. خطر له أن الزجاج سيتشقق نتيجة لفارق
الحرارة لأن - حسب علمه - ماء قاع المحيط بارد إلى
درجة تقرب من التجمد ..

وهنا شعر أن أرضية الكرة تضغط على قدميه ،
وتلاشت الفقائيع المتصاعدة من حوله ، واختفى
الهسيس ..

أدرك أنه - خلال دقيقة - سيستقر على القاع ..
عندئذ فكر في (ستيفنز) و (وايبيرج) اللذين صارا
الآن على ارتفاع خمسة أميال ، كأنهما سحب عالية
تسبح في السماء ..

ألقي نظرة عبر الكوة .. كان الخارج مظلماً كمخمل
أسود .. ثم رأى في ضوء الكشاف ثلاثة أشياء تشبه
اللهيب في منظرها تدخل مجال البصر .. ولم يستطع أن
يخمن هل هي أشياء دائية صغيرة الحجم ، أم قصية
كبيرة الحجم ..

كان لكل منها غلاف خارجي من الضوء الأزرق
يتألق كمصباح ، وسرعان ما أدرك أنها أسماك من نوع
غريب .. لها رأس عملاق وعينان واسعتان ..

هنا وجد سحابة بيضاء تحيط به ، مما جعل الضوء
عاجزًا عن اختراقها .. كان السبب في هذا هو أنه
لامس القاع ، وتصاعد الغبار من حوله .. ثم بدأت
السحابة تنتفش وبدأ يرى بوضوح أكثر .. كانت هناك
مجموعات من نبات سوسن الماء تحرك ممساتها
الجائعة في الماء .

ومن بعيد رأى معالم مجموعة من الإسفنج العملاق ..
وعلى القاع تناثرت قشريات تزحف هنا وهناك تاركة
ممرات خلفها ..

في البدء لم ير ذلك المخلوق بوضوح .. مجرد شيء
يتحرك ويوحى من بعيد بمنظر رجل يسير .. ثم دخل
المخلوق في مجال الضوء .. فلما إن صدمه الضوء
حتى أغلق عينيه مبهورًا ..

كان حيوانًا فقاريًا عجيبًا .. رأسه الأرجواني يشبه
الحرباء إلى حد ما .. لكن رأسه الكبير وجبهته العالية
لم يكونا مما يوجد لدى الزواحف .. كان مجمع وجهه
يعطيه تشابهًا مذهلاً مع الإنسان ..



وسرعان ما أدرك أنها أسماك من نوع غريب .. لها رأس
عملاق وعينان واسعتان ..

كانت هناك عيان تبرزان من محجريهما كما تبرز
عيننا الحرياء . وتحت أنفه الدقيق كان هناك قم ذو
شفتين قرنيتين كشفاه الزواحف ، وفي موضع الأنثيين
غطاء خيشوم . على حين تنبعث من جسده شجرة
متفرعة من الخيوط الدقيقة مثل خياشيم أسماك القرش .
على أن أكثر الأشياء غرابة بصدد المخلوق لم يكن
وجهه ..

بل كونه يسير على قدمين .. جسده الكروي يتربع
فوق قدمين كأقدام الضفادع وذيل سميك طويل ... بينما
يداه تشبهان يد الإنسان إلى حد ما .. كأنما هما رسم
كاريكاتيري لها ..

وكان لون المخلوق متبايناً .. رأسه ويداه وقدماه
كان لونها أرجوانياً .. لكن جلده الذي تهدل من فوق
عظامه كان يتألق بلون الفسفور .. حيث وقف هنالك
وقد أعماء الضوء ..

في النهاية فتح المخلوق فاه .. وأطلق صوتاً
صارخاً .. له مقاطع ككلامنا اخترق الصلب الذي
صنعت منه الكرة ..

كيف يتم الصراخ دون رنتين ؟ لم يستطع (إستيد)
أن يجيب عن هذا السؤال .. لكنه أدرك أن الكائن قادم
إلى الكرة مبهوراً بالضوء .. وسرعان ما مذ (إستيد)

يده ليطلق الإضاءة ، في اللحظة التي تأرجحت فيها
الكرة بفعل شيء ما قد ارتطم بجدارها الفولاذي ..
عاد الصراخ يتردد .. وبدأ له أن أصداء بعيدة
تجاوبه .. عادت الكرة تتأرجح .. وفي الظلام الدامس
أدرك (إستيد) أن هناك مخلوقات أخرى شبه آدمية
وتتألق بضوء فوسفوري ، تتحرك نحوه .

لم يدرك ما يفعله .. راح يبحث في الظلام عن مفتاح
الضوء الكهربى .. وجد كشاف اليد الخاص به
فأضاءه .. وسرعان ما رأى زوجين من الأعين تتأملانه
عبر الكوة وتلتمعان في الضوء ..

وهنا سمع صوتاً أثار هلعه .. صوت طرقات عنيفة
على آلات الكرة المسنولة عن قطع الحبل .. كان هذا
كافياً ليثب قلبه إلى قمة .. لو أن هذه المخلوقات نجحت
في مسعاها ، فلن ينجح في الفرار أبداً .

عادت الكرة تتأرجح بعنف ثم شعر بقاعها ينضغط
فوق قدميه .. وأدرك أنه يرتفع ! .. اختفى القاع
واختفت المخلوقات الشبيهة بالإنسان من تحته ..

خطر له لأول وهلة أنه قد فر ، وأن هذه المخلوقات
قد قطعت الحبل الذي يربطه إلى الأثقال .. استمر

الصعود سريعاً سريعاً .. وفجأة توقف .. وانقذف
(الإستيد) إلى أعلى ؛ ليصطدم بسقف الكرة .. ولعدة
نصف دقيقة منعته الدهشة من التفكير ..

هنا لاحظ أن الكرة تدور ببطء حول نفسها .. وأن
هناك من يجذبها عبر المياه .. لكنه لم ير شيئاً حين
نظر من الكوة .. خطر له أن يطلق الكشاف ويترك
عينيه كي تعتادا الغموض العميق المحيط به .. وكان
حكيماً في قراره ..

بعد ثوان بدأ الظلام المخملي يتحول إلى سواد
شفاف .. ثم رأى من بعيد - في ضوء شاحب - أشياء
تتحرك .. وخطر له أن هذه المخلوقات قد قطعت الكابل
الذى كان يربط الكرة بالقارب ؛ وأنها تجره الآن إلى
قاع المحيط ..

ثم رأى أفقاً عريضاً من الضياء الشاحب يمتد هنا
وهناك إلى أبعد ما تسمح به الكوة الضيقة ... وكان
ينجذب إلى هذا الأفق كبالون يجذبه الصبية من الريف
إلى المدينة ..

كان يدنو أكثر فأكثر .. وبدأ الضياء يتخذ أشكالاً أكثر
تحديداً .. كان يرى ما يوحى بشوارع وبيوت تمتد
كخريطة من تحته وكانت تلك المنازل مجرد جدران بلا

سقوف ، صنعت - كما عرف بعد ذلك - من عظام
فسفورية متألقة ، مما أعطى المكان منظراً يوحى بأنه
بنى من ضوء القمر ..

كانت هناك أشجار تتموج .. وقطع إسفنج عملاقة ..
ورأى حركة في الشوارع كأنما القوم يتزاحمون ..
كان يهبط .. وتفاصيل المكان تزداد وضوحاً وتبدد
جزءه نوعاً .. وأدرك أنه في مواضع عدة كانت هناك
سفن غارقة غطتها القشريات منذ دهر ..

كان يهبط .. ولقد أدرك أنهم يقودونه إلى مبنى كبير
في مركز المدينة واستطاع أن يرى الأشكال العديدة التى
تجذب حيل كرتة ، والأشكال العجيبة التى تنتظره بين
جدران المبنى .. ثم ارتفعت الجدران من حوله ؛
لتدأرى المدينة عن عينيه ..

صنعت هذه الجدران من خشب السفن وقطع الحديد
وعظام وجماجم الفرقى .. وقد تم نشر الجماجم بشكل
حلزوني ومنحنيات لا تصدق حول المبنى ، فى حين
راح السمك الفضى يخرج ويدخل من محاجرها ..

كان يهبط .. يهبط .. حتى شعر أن الكرة تستقر على
ما يشبه المحراب فى وسط المكان ..

الآن صار بوسعهم أن يرى سكان الهاوية بوضوح أكثر .. وعندئذ أدرك لدهشته أنهم يظهرون احترامهم وإجلالهم له .. جميعهم ما خلا واحداً يرتدى ثوبا من القشور وتاجا من اللالى .. كان يقف فاتحا فمه الشبيه بفتح الزواحف ، كأنما يقود إتشاد المتعبدين ...

حافظ غريب دعا (إلسيتيد) إلى أن يضىء الكرة ثانية ليراه هؤلاء الواقفون فى الهاوية حوله ..

عندئذ غدا الإتشاد جلبية وصراخا .. وأدرك (إلسيتيد) أنهم يركعون أمامه ، وهكذا ظلوا فى عبادتهم له دون كلل ، ولا انقطاع ثلاث ساعات كاملة ..

★ ★ ★

إن قصته لعجيبة .. لكنها لا تقل غرابة عن كون رجال العلم البارزين - مثل (آدامز) و (جنكينز) - لا يجدون فيها ما يدعو للدهشة . فهم لا يرون غرابة فى أن تعيش مخلوقات ذكية تتنفس الماء ذات عمود فقرى ، ووزنها ثقيل إلى حد أنها من المستحيل أن تطفو حية أو ميتة ، لا يرون غرابة فى أن تعيش مخلوقات كهذه على قاع المحيط دون أن ترتاب فى وجودها . مخلوقات تنحدر من الـ (ثريومورفا) التى وجدت فى الحفيرة الجيرية ..

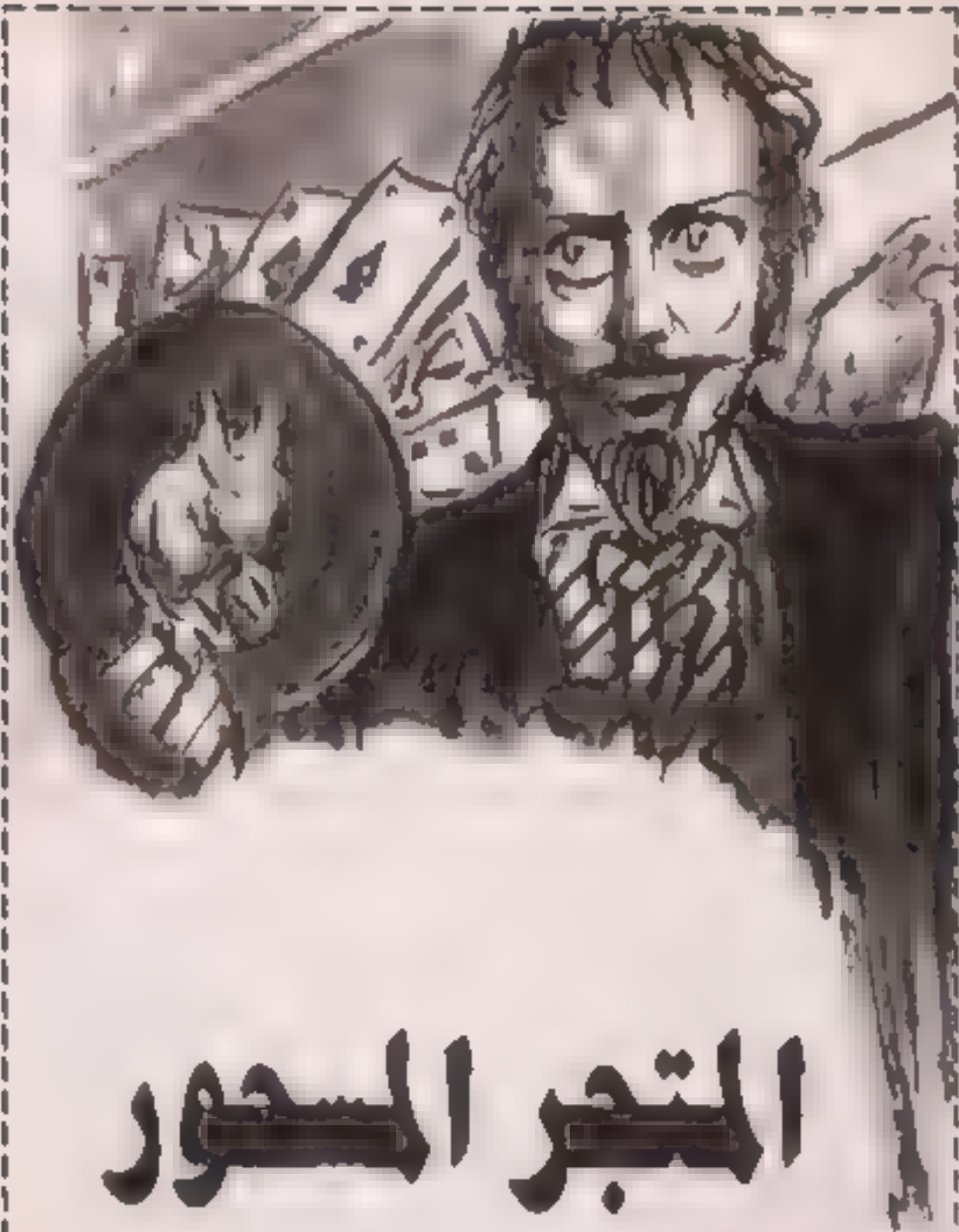
لا بد أن هذه المخلوقات تراثا ككائنات نيزكية غريبة ، اعتادت الهبوط ميتة من خلال ظلمات سماتهم المائية . وأحيانا تهوى سفن عملاقة ، لتهشم مدنهم كأنما هو عقاب من قوة عليا غير مرئية ..

لهذا يمكن للمرء أن يفهم سلوكهم تجاه هبوط رجل حتى فوق عالمهم ، كما يفعل البدائيون مع رائد فضاء فى حلة براقية يهوى فوق رؤوسهم ..

ولما كان (إلسيتيد) قد وعد بأن يكتب تفاصيل الاثنى عشرة ساعة التى قضاهما فى الهاوية ؛ لكنه لم يفعل ذلك قط .. فابتنا نحاول جمع أجزاء القصة المتناقضة من أفواه القومندان (سيمونز) و (وايبيردج) .. و (ستيفنز) وآخرين ..

الآن تمر دقيقة تلو الأخرى .. و (إلسيتيد) ينظر إلى ساعته ؛ ليذكر فى هلع أن أمامه أربع ساعات قبل أن ينفد الأوكسجين .. لكن إتشاد المخلوقات استمر كأنما هو أنشودة جنازته .. أغنية موته المقبل ..

لا يستطيع أن يفسر كيفية تحرره .. لكن طرف الحبل المتدلى من الكرة يشير إلى أنه تمزق من احتكاكه بالمحراب . فجأة تدهرجت الكرة .. واتزلق خارجا من عالمهم كمخلوق أثيرى ينزلق من عالمنا عائدا إلى عالمه الأثيرى .. لا بد أن الصعود بدا لهم غريبا ..



المتجر المسحور

ازدادت حرارة الكرة وسرعتها في الصعود ..
يذكر (إلسيتيد) الفقايق التي راحت تجيش جوار
الزجاج ..

ثم فجأة شعر كأن عجلة عملاقة تدور في رأسه ..
وسرعان ما فقد الوعي ..

بعد هذا لم ير سوى القمرة ، ولم يسمع سوى صوت
الطبيب ..

بقى أن نقول هنا إنه في ٢ فبراير ١٨٩٦ ، قام
(إلسيتيد) بمحاولة الثانية للهبوط إلى هاوية المحيط
بعد ما أجرى تحسينات عدة على كرتيه في (ريو) ..

أما ما حدث بعد هذا فلن نعرفه أبداً .. لأنه لم يعد قط .
وقد ظلت السفينة (تارميجان) تبحث عنه ثلاثة
عشر يوماً بلا جدوى .. ثم إنها عادت إلى (ريو)
وأبرقت الأخبار إلى أصدقائه ..

وهكذا ينتهي الموضوع ..

لكن من العسير ألا تجري محاولة جديدة لتحقيق هذه
القصة العجيبة ، عن تلك المدن الغريبة في أعماق
المحيط ، والتي نجهل عنها كل شيء ..

(أغسطس ١٨٩٦)

★ ★ ★

المتجر المسحور

رأيت المتجر المسحور مرارا من بعيد .. مررت به مرة أو مرتين .. ورأيت في واجهته كرات سحرية .. دُمى سحرية .. ألعاب السلة .. مجموعات من أوراق اللعب (تبدو) على ما يرام ... رأيت كل هذا ، لكنى لم أفكر في دخوله قط إلى أن جاء يوم - بلا إنذار - وجدت فيه (جب) يجذبني من إصبعي نحو المتجر .. بمعنى أنه لا مفر لى من أن أدخل معه ..

ولم يكن قد خطر لى من قبل أن هذا المكان موجود هناك فى شارع (ريجنت) ما بين محل الصور والمفرخة .. لكن المكان كان هناك حقاً ... لطالما تصورت أننى رأيتُه قرب السيرك أو عند ناصية (أوكسفورد) .. المهم أنه كان دائماً بعيداً عن طريقى . الآن ها هو ذا أمامى .. وإصبع (جب) الصغير يحتك بزجاج الواجهة محدثاً جلبة .. وهو يردد :

« لو كنت غنياً لابتعت هذه .. وهذه .. » - كانت هذه هى دمية تمثل طفلاً باكياً - « وهذه .. » - التى كانت لغزاً يتم تجميعه - « وهذه .. »

وكانت هذه الأخيرة قد كتب عليها « اشتر واحدة وأدهش أصدقائك .. »

قال (جب) :

« أى شيء يختفى تحت هذه الأقماع .. لقد قرأت عنها .. »
ثم أردف :

« وما هو ذا (نصف البنس المختفى) .. »
لقد ورث (جب) العزيز إصرار أمه .. لهذا لم يعرض على دخول المتجر .. فقط - ودون وعى - جذبني من إصبعي إلى الباب .. وأشار إلى زجاجة سحرية فى شغف .. فسألته :

« ماذا ستفعل بها ؟ »

« يمكننى أن أرى إياها لـ (جيسى) .. »
مددت يدي إلى مقبض الباب وفتحته .. فلم يقل (جب) شيئاً وأطبق بقبضته على إصبعى بحزم .. ودخلنا المحل ..

ما كان هذا متجرًا عادياً .. كان متجرًا مسحورًا .. وترك (جب) دفعة الحديث لى .. كان متجرًا ضيقًا خافت الإضاءة .. وسمعنا جرس الباب يدق حين أغلقناه وراعنا .. هنا صرنا وحيدين وأمکننا أن نتأمل المكان .. كان هناك نمر على الزجاج

الموضوع فوق منضدة الاستقبال . نمر له عينان
حنونان ... وكانت هناك كريات بللورية ، ويد من
الخزف الصيني تمسك بأوراق لعب ، ومجموعة من
أحواض السمك السحرية ، وقبعة سحرية تظهر اليايات
بداخلها بلا حياء ...

وعلى الباب رأينا مرأتين سحريتين : واحدة تظهرك
طويلاً نحيلاً .. وواحدة تضخم رأسك وتكمش جسدك ..
بينما نحن نضحك وقد رأينا صورتينا : دلف البائع
إلى المكان ..

رجل نحيل أسمر هو .. مثير للفضول .. له نقر
كطرف الحذاء وأذن أكبر من الأخرى ..

قال لنا وهو يفرد أنامله الطويلة على الزجاج :

- « ماذا يوسعي أن أقدم لكما ؟ »

وهكذا شعرنا بوجوده .. فقلت :

- « أريد أن أبتاع لطفلي بعض الحيل البسيطة .. »

- « ميكانيكية ؟ أم منزلية ؟ أم قائمة على خفة اليد ؟ »

- « أي شيء مصل .. »

- « هم م م ا » - قال وهرش رأسه كما لو كان

يفكر .. ثم فجأة جذب من رأسه كرة زجاجية - « شيء
كهذا ؟ »

كان تصرفه غير متوقع .. رأيت مراراً يؤدي في
دور اللهو .. لكنه فأجأني ما هنا .. لكم بدا لي غريباً !
قلت ضاحكاً :

- « هذا رائع ... ! »

مذ (جب) يده ليلتقط هذا الشيء .. لكنه وجد كفاً
خاوية ..

- « إنه في جيبك ! »

قالها البائع .. وكان هناك فعلاً ! .. سألت الرجل :

- « كم ثمنه ؟ »

قال الرجل وهو يخرج كرة أخرى من كمه :

- « نحن لا نثمن الكرات الزجاجية .. ما دعنا نحصل

عليها مجاناً .. »

وأخرج كرة من مؤخرة عنقه .. على حين تأمله

(جب) في اهتمام .. واستعد للمفاجأة التالية .. قال
الرجل :

- « نحن نحصل على كل حيلنا الصغيرة هكذا .. »

قلت ضاحكاً بأسلوب رجل يشارك في دعابة :

- « بدلاً من التعامل مع تجار الجملة . هكذا أرخص

حتماً .. »

قال الرجل :

- « إلى حد ما .. أما عن حيلنا الكبرى وكل ما نحتاج إليه فإتينا نحصل عليه من هذه القبعة .. ولو أن السيد سمح لي فإتني أقول له : لا توجد متاجر جملة للبضائع السحرية الأصيلة .. » - وأخرج بطاقة من خده وقدمها لي : « لا خداع هنالك يا سيدي .. أصيلة .. »

ثم نظر إلى (جب) وقال باسمنا :

- « أنت (الولد المناسب) .. فقط (الولد المناسب) يستطيع أن يدخل من هذا الباب .. »
وكانما لتوضيح ما قال سمعنا صوت من يحرك مقبض الباب .. وصوتا رفيعا يصيح من الخارج :
- « أريد الدخول يا بابا . أريد الدخول .. نيايايايايا ! »

ثم صوت أب يواسيه :

- « إنه موصد يا (إدوارد) .. »
قلت أنا :

- « لكنه ليس موصداً . »

- « فقط بالنسبة لولد غير مناسب كهذا »

- قال صاحب المحل ذلك وهو يشير إلى وجه الطفل الآخر الذي ينظر من وراء الزجاج .. وجه صاحب شوهته الشهوات الشيطانية .. مخلوق صغير أنثى صوت الحلوى أسنانه ..

كدت أتجه إلى الباب برد فعل طبيعي لأعين الصبي على الدخول ، لكن الرجل قال لي :

- « لا جدوى من ذلك سيدي .. »

ثم أردف وهو يلوح بيديه ، فتنتطق شرارات اللهب الملون من أطراف أنامله ، لتختفي في ظلام المتجر :

- « إنه السحر ! »

ثم قال موجه الكلام إلى (جب) :

- « قبل أن تدخل المحل قلت إنك ترغب في واحدة من ألعابنا المسماة (اشتر واحدة وأدهش أصدقائك) »
قال (جب) بعد غناء :

- « نـ ... نعم .. »

- « هي الآن في جيبي ! »

واتحنى فوق المنضدة ليقدم لنا اللعبة بطريقة دعائية .. ثم هتف :

- « وري ! »

والتقط لفة ورق كبيرة من القبة .. ثم صاح :

« خيط ! »

وأخرج من فمه خيطاً طويلاً بلا نهاية راح يربط به الطرد بعد أن غلفه ، ثم أشعل شمعة على أنف إحدى الدمى وغمس فيها إصبعه ليأخذ مسحة من الشمع ، ويلصق بها الطرد كأنما ختم بشمع أحمر ... ثم راح يغلف (البيضة المختفية) و (الطفل الباكي) ويناول كل طرد بعد الفراغ منه إلى (جب) ... (جب) الذي احتشدت العواطف داخله وراحت تصطرع ..

وهنا شعرت بشيء يلهو في قبعتي .. شيء ناعم يتواثب .. أزحتها عن رأسي فوجدت حمامة تسقط منها وتجري فوق المنضدة .. لتتوارى داخل صندوق أوراق اللعب خلف دمية النمر ..

مذا الرجل يده ليتناول قبعتي ، وهزها ليخرج منها ثلاث بيضات .. بلية كبيرة .. ساعة .. بسطة من الكرات الزجاجية ..

« كل هذه الأشياء تتراكم في القبة يا .. سيد »

« كان يلومني بأدب وهو يخرج هذه الأشياء -
« لا أعنيك أنت بالذات .. لكن أعني كل عميل .. من

المدعش أن ترى كل الأشياء التي يحملونها في قبعتهم ! »

وفجأة توقف عن الكلام .. كأنك ضربت الجراموفون بقطعة من القرميد حسنة التصويب .. عندها ساد الصمت وكفت كل الأصوات .. فسألت بعد هنيهة :

« هل فرغت من اللهو بقبعتي ؟ »

فلم يجب .. نظرت إلى (جب) ونظر (جب) لي ..
« إننا سنرحل الآن .. فهلا قلت لي ثمن هذه الألعاب ؟ .. »

وعدت أكرر بصوت أعلى :

« أقول : أريد القاتورة وقبعتي من فضلك .. »

سمعت صوتاً خفيفاً من وراء كومة الورق .. فقلت لـ (جب) :

« فلتنظر وراء المنضدة أي (جب) .. إنه يبحث بنا .. »

ومشينا لتلقى نظرة هناك .. فماذا تحسبنا وجدنا ؟
لا أحد ! فقط قبعتي على الأرض وجوارها رأينا أرنبا أبيض غارقاً في التأمل .. صاح (جب) في الفتان :
« بابا .. إنني أحب هذا المتجر ! »

« وأنا كذلك .. ما لم تتحرك هذه المنضدة فجأة لتغلق الباب علينا ! »

لكنه لم يعط لما قلت أهمية .. وراح يمد يده للأرنب محاولا إقناعه بالاقتراب ..

« هيا يا (بوسى) .. قم بنعبة سحرية لـ (جب) ! »
رأينا الأرنب يتوالب قاصدا الباب .. وفجأة انفتح الباب ولمحنا الرجل ذا الأذن الأكبر من الأخرى يبرز لنا . كان يتسم لكننا رأينا فى عينيه مزيجاً من الاستمتاع والتحدى :

« إنكما ستحبان رؤية قاعة عرضنا يا سيدى .
هنا كنت قد بدأت أشعر بأن السحر أصيل ها هنا ..
أكثر أصالة مما يجب فى الواقع .. فقلت :
« ليس لدينا متسع من الوقت .. »

لكننا - بشكل ما - وجدنا أنفسنا فى قاعة العرض ، وقبل أن أنهى كلامى ..

ورأيت البائع يمد يده إلى كم معطفى وينترع شينا ..
ورأيت أن هذا الشيء كان عفريتاً صغيراً أحمر بمسكه الرجل من ذيله ، بينما العفريت يقاوم ويحاول أن يعض يده .. وسرعان ما رماه الرجل فى إهمال وراء المنضدة ..

لم أشك لحظة فى أن الشيء دمية مطاطية .. لكن كم بدا حقيقياً ! .. خاصة والرجل يتصرف كمن يمسك بأفعى .. أفعى حقيقية تلدغ ..

نظرت إلى (جب) فوجدته لم يلحظ الشيء .. وقد صرخت هذا ..

سأل (جب) الرجل فى تبجيل واحترام وهو يشير إلى لعبة :

« هل هذا الشيء سيف سحرى ؟ »

« إنه (لعبة سيف سحرية) .. لا تتحنى ولا تنكسر ولا تقطع الأصابع .. إنه يجعل حامله لا يقهر فى أية معركة ضد من هو أقل عمراً من ثمانية عشر .. ويبيع معها درع واقية .. وأحذية تطير .. وخوذة تجعلك غير مرئى ! »

تنهد (جب) فى نشوة :

« آه يا بابا ! »

حاولت معرفة سعر هذه الأشياء ، لكن الرجل لم يعطنى فرصة .. ولقد استحوذ على (جب) الان .. وترك (جب) إصبعى : ليرى كل شيء فى جراب هذا الساحر .. بل إننى لاحظت - بشعور هو للغيرة أقرب -

أن (جب) قد أمسك بإصبع الرجل كما كان يفعل معي
تماما .. لا جدال أن الرجل مسل .. ولديه بضاعة لا تنفذ
من الألعاب الزائفة ..

مشيت وراءهما ، وعزيت نفسي بأن (جيب) يستمتع
بكل هذا .. لكن حين يجيء الوقت لترحل من رحل ..
كنا نمشي في قاعة العرض .. والبائع يعرض على
(جيب) قطارات تسير دون وقود أو ميكانيكية ما ..
وصناديق تحوى جنودا تنب الحياة فيهم بمجرد أن تفتح
الغطاء وتقول حسن لم أتمكن من التقاط
الكلمة خاصة وأنها كانت عبارة النطق .. لكن (جب)
- الذي ورث أذني أمه الحادتين - استطاع أن يحفظها ..
وسرعان ما أعاد للرجل الجنود إلى الصندوق وهو
يهنئ (جب) على سرعة حفظه ..

- « هل ستأخذ الصندوق ؟ »

وقبل أن ترد .. قفف الرجل الصندوق في الهواء ..
وهنا وجدناه أمامنا ملفوفا بالورق الهني وقد كتب عليه
اسم (جب) الكامل وعنوانه ..

وضحك البائع من ذهولي .. وقال :

- « هذا هو السحر الأصلي .. السحر الحق ! »

قلت في تردد :

- « إنه أصلي أكثر من اللازم بالنسبة لي .. »

وواصل الرجل إبهار (جب) بمزيد من الحيل
السحرية .. فكنيت تسمع لفظة (برستو !) (*) من
الرجل تليها لفظة (برستو !) الصغيرة الصافية من
الصغير .. لكنني كنت بعيدا عن هذا .. رحت أتأمل الجو
الغامض الموهي بالتوتر المخيم على هذا المكان ..

كان هناك مساعد من مصاعدي الرجل .. رجل غريب
الشكل لا يشعر بوجودي .. كان منحنيًا على كومة
الألعاب وقد رسم قوسًا بجسده ، وراح يصنع أشياء
مروعة بأنفه ! أشياء يفعلها كأنما يشعر بالملل ويريد
أن يروح عن نفسه ..

كان الأكف مستكبرا قصيرا .. فبأذا به يشده
كالتلمكوب .. وبعد قليل غدا الأكف طويلا رقيقا مثل
سوط أحمر .. كأنه كابوس ! .. أول ما خطر لي هو أن
(جب) لا ينبغي أن يرى هذا .. استكرت لأجد (جب)
منهمكا مع البائع ، دون أن يفكر في شر ما .. كتبا

(*) مثل لفظة (جلا جلا) معناها ..

يتهامسان وينظران إلى .. (جب) يقف فوق مقعد
مستدير والبائع يمسك بشيء يشبه طبله عملاقة ..

صاح (جب) :

- « نحن نلعب (الاستغماية) يا بابا !.. »

وقبل أن أستوعب ما يحدث ، نزلت الطبله فوق
(جب) لتخفيه داخلها .. عندها أبركت ما سيحدث ...
وصحت :

- « انزع هذه !.. إنك ستخيف الغلام .. انزعها ! »
نفذ البائع كلماتي دون أن يعلق .. وأدار الطبله
الكبيرة نحوي ليريني أنها خاوية .. لقد اختفى ولدي !
أنت تعرف حتما ذلك الشعور القادم من المجهول بأن
بدا خفية تعتصر فؤادك .. عندئذ تشعر أنك فارقت
نفسك التي ألفتها وصرت عنيفا حارما .. بلا غضب ولا
خوف .. هكذا كان الحال معي حين مشيت إلى الرجل
وركلت المقعد جانباً ..

- « أوقف هذا السخف !.. أين الغلام ؟ »

قال لي وهو ما زال يعرض على داخل الطبله :

- « كما ترى .. لا خداع هناك ! »

مددت يدي نحوه فتملص .. هجمت عليه فتراجع
وفتح باباً خلفه كي يفر .. فصرخت فيه :

- « توقف ! »

ضحك .. وتراجع ليغيب عبر الظلام الحالك ..
وسمعت من يقول :

- « فليرحمني الله .. لم أرك قادماً يا سيدي ! »

كنت هناك في شارع (ريجنت) وقد اصطدمت بعامل
يبدو مهنياً .. وعلى بعد ياردة - حائراً مشتتاً - كان
(جب) يقف !

ورأيت يدين مني بابتسامة معذرة مشرقة ، وكأنما
قد ضل طريقه لأول وهلة ثم وجدني ..
وكان يحمل الطرود تحت ذراعه !..
على الفور أمسك بإصبعي كعادته ..

ولثانية شعرت بفقدان الوزن .. نظرت ورائي لأرى
باب المتجر .. وبالطبع لم يكن هناك !.. لا باب ..
لا متجر .. لا شيء .. فقط متجر الصور ، وجواره
المفرخة .

فعلت الشيء الوحيد الممكن .. رفعت مظلتي إلى
أعلى لأنادي سيارة أجرة ..

ركبت جوار (جب) .. وهنا شعرت بشيء
في مؤخرة معطفي .. مللت يدي إلى هناك لأجد
أنه كرة زجاجية .. رميتها إلى الشارع على
الفور ..

ولم ينس (جب) بيئت شقة ..

كانت مشكلتي هي معرفة كيف بدا له الأمر .. لكن
أذى لم يمس ، ولم تبد عليه أية علامات للخوف ..
كان راضياً تماماً عن هذه المتعة .. وظللت أتساعل في
خبرة عن محتوى الطرود .. وإن تدمت على أنني أبوه
لا أمه وإلا كان في استطاعتي أن أثنى فجأة وأمام
الناس جميعاً ..

وحين فتحنا الطرود بدأت أظمن ..

ثلاثة منها كانت تحوى جنوداً عاديين .. جنوداً من
الرصاص تم صنعهم بإتقان شديد ... أما الطرد الرابع
فكان يحوى هريرة بيضاء حقيقية تتمتع بصحة وشهية
ممتازتين ..

فما إن رأيت هذا حتى شعرت بالارتياح

★ ★ ★

كان هذا منذ ستة أشهر .. واليوم فقط أعتقد أن
الأمر على مايرام .. فالهريرة لم تكن مسحورة أكثر
من أية هرة أخرى .. والجنود كانوا طبيعيين جداً ..
وماذا عن (جب) ؟

إن أي أب ذكي يعرف أنني يجب أن أتعامل بحذر
معه .. لكنني تماديت في تعاملتي .. وذات يوم سألته :
- « هل تحب أن تعيد هؤلاء الجنود إلى الحياة
يا (جب) ؟ »

قال (جب) :

- « إنهم أحياء .. فقط يجب أن أقول لفظاً ما قبل
فتح الطية » .

- « وعندئذ تدب فيهم الحياة ويمشون ؟ »

- « طبعاً يا بابا .. ما كنت لأحبهم لو لم يمشوا ...
لم أبدأ دهشة ... لكنني اعتدت من وقتها أن أدخل
حجرتي دون إنذار من حين لآخر .. لكنني - حتى الآن -
لم أرهم يقومون بعمل سحري ..

ثمة موضوع آخر متعلق بالمال ...

إن لدى عادة مرضية هي أنني أدفع ما علي من
فواتير .. ولقد مشيت مراراً في شارع (ريجنت) بحثاً

عن ذلك المحل .. وأعتقد أنني - من ناحية الشرف -
قد فعلت المطلوب متى .. وما دام اسم (جب) وعنوانه
معروفين لدى هؤلاء القوم .. فإن بوسعى أن أنتظر
منهم أن يرسلوا الفاتورة لنا فى الوقت الذى يناسبهم ،
وبصرف النظر عن حقيقة وسر وجودهم فى عالمنا .
(يونيو ١٩٠٣)

★ ★ ★

وادي المناكب

وادي العناكب

عندما انتصف النهار .. وصل الثلاثة المطاردون إلى منحني في مجرى السيل المطل على واد فسيح مقفر ..
لقد صار ممر الحصى الذى اقتفوا أثر المطاردين عليه وادياً متحدراً واسعاً .. وبدون إشارة أو اتفاق ؛ توقف الرجال فوق مرتفع تحيط به أشجار الزيتون .. وهناك انتظروا .. رجلان يتبعان ثالثاً يمتطى جواداً ذا سرج مطعم بالفضة ..

ولبرهة راحوا بمسحون الألقى الممتد تحتهم بعيون ملهوفة .. كان يمتد بعيداً بعيداً ، وقد انتشرت فيه أشجار الشوك هنا وهناك .. وبعض الأعشاب الصفراء تذوب من بعيد فى السفوح الزرقاء للتلل النائية .. وإلى الغرب يغيب الوادى فى ظلمة دائية تحت السماء حيث تبدأ الغابات ..

قال الرجل النحيل ذو الشفتين المنيئتين بالتدوب :

- « ليمنا هنا .. » - وتهد فى خيبة أمل - « لكنهما يسبقاننا بيوم كامل على كل حال .. »

رد الرجل الذى يمتطى الحصان الأبيض :

- « هما لا يعرفان أننا نتبعهما .. »

قال القائد بمرارة وكأنما يكلم نفسه :

- « ستعرف هى .. »

- « حتى لو علمنا .. فلن يرحلوا بسرعة .. ليس معهما دواب سوى البقل .. و قدم الفتاة ما زالت تنزف .. »

نظر له الرجل ذو السرج الفضى فى حلق :

- « أتحسبني نست بهذا عليماً ؟ »

قال الرجل ذو التدوب :

- « لو أننا ركبنا .. وأسرعنا »

ثم ألقى نظرة على الحصان الأبيض وصمت ..

قال ذو السرج الفضى :

- « لعنة الله على الجياد البيضاء ! »

قال الرجل صغير الحجم راكب الحصان الأبيض :

- « قد حاولت وسعى .. »

- « هلما إذن .. »

قالها الرجل ذو السرج الفضى ، فهز الرجلان عنائى

جواديهما .. وراحت حوافر الخيول ترسم طريقاً متعرجاً

فوق العشب بينما هم يسرون فوق الأثر

تدريجياً بدا الأثر أكثر شحوباً .. لأن طبقة الغبار

صارت أرق .. لكنهم بمزيد من التدقيق والانحناء على

أعناق الخيول ، كانوا قادرين على اقتفاء الأثر ما بين
عشب مهشم .. أو أثر قدم .. وفي ذات مرة رأى القائد
لطفة من دم تركتها الفتاة .. فأطلق سبه في سره يلعن
حماقتها ..

كان ذو السرج الفضي يتقدم الطريق .. ولم يتبادل
واحد من ثلاثتهم كلمة مع زميله ..

فجأة شعر الرجل الثالث على الجواد الأبيض بشيء
غير طبيعي .. إن الوادي ساكن أكثر من اللازم .. كان
يرى سيده ورفيقه على جواديهما ، وقد سقط ظل كل
منهما على الأرض أمامه .. وهو ذا يرى ظله هو نفسه
أمامه .. فما الجديد ؟ لم تكن هناك أنسام .. هذا هو
الشيء ..!.. الوادي كله يغفو في قبولة الظهيرة ،
والسما مفتوحة صافية فوق الرؤوس ..

تنهد .. وضع شفتيه ليصفر .. عابث سرجه وأدار
ظهره : ليتأمل مدخل الوادي من حيث جاءوا ..
منحدرات خاوية على الجانبين لا تتم عن وجود مخلوق
له قيمة .. ولا نبات .. أي أرض هذه !..

شعر بنسمة صغيرة تعابث وجهه .. همسة تروح
وتجىء .. محاولة أولى لأنسام محتلمة .. من ثم بلل
إصبعه ورفع في الهواء

من الأمام يرى ظهر سيده .. قبعته .. كتفيه ..
تظهر وتختفي من وراء ظهر الرجل النحيل .. لقد
ركبوا جيادهم أربعة أيام كاملة .. بلا ماء ولا شيء
سوى قطعة من لحم مقد تحت سرج كل منهم ..
يمشون فوق صخور ومرتفعات لم يعش بها أحد من
قبل سوى هذين الهاربين .. تصور !..

وكل هذا من أجل فتاة .. مجرد فتاة ! لم هذه الفتاة
بالذات ؟

تساعل الرجل ولعن شفته الجافة بلسان مسود ..
إن هذا هو طريق سيده ، وهذا هو كل ما يعرفه ..
لمجرد أن الفتاة حاولت أن تهرب منه ..
كان النسيم يزداد قوة ، وينتزع من الأشياء جمودها ..
هذا شيء لا بأس به .. هنا توقف الرجل النحيل :

« هاللو ! »

فتوقف ثلاثة الرجال فجأة .. وتساعل السيد :

« ماذا هنالك ؟ »

« انظر هناك .. »

« ماذا ؟ »

« ثمة شيء آت نحونا .. »

وهنا رأوا الكلب الأصفر قادما نحوهم جريا .. لسانه
متدل وجريه عنيف ملهوف حتى إنه لم يبالي براكبى

الخيول حين دنا منهم .. كان يقترب وقد شمع بأنفه ..
فتحسس راكب الجواد الأبيض سيفه :
« إنه مسعور .. »

دنا الكلب منهم .. وفي اللحظة التي كاد السيف
يمزقه فيها ، رأوه يواصل الركض لاهثا مبتعدا ..
وتابعته عينا الرجل صغير الحجم .. وقال :
« لا توجد رغاو على فمه »

« هلمنا .. لم يحدث شيء ذو أهمية .. »
قالها راكب الحصان ذي المرج الفضى ... وواصل
المشي بحصاته ..

شرع الرجل صغير الحجم يتهم في سره على
الطبيعة البشرية ، وقد نسي لغز هذا الكلب المحموم
القادم من قلب الريح .. هلمنا !.. لماذا يرزق بعض
الناس دون سواهم بالسلطة التي تتيح لهم أن يتكلموا
بهذه الثقة وهذا التأثير الكاسح ؟ .. هلمنا !.. ليتنى
أستطيع أن أقولها بذات السيطرة !..

إن الناس يتعجبون عندما لا يطاع هذا السيد .. لهذا
اعتبر الناس تلك الفتاة مجنونة .. ربما ملحة ..
أخرجته من خواطره أحاسيس غريبة في كفيه
وركبتيه .. وبدأ يوقن بوجود شيء ما .. تقدم إلى
رفيقه النحيل وسأله :

« هل لاحظت الخيول ؟ »

نظر له الرجل النحيل وغمغم :

« هي لا تحب هذه الريح .. »

وواصل الراكب مسيرته في صمت .. وقد بدأت الريح
تزداد قوة دقيقة بعد دقيقة .. ورأى الرجل الصغير كتلا
سوداء تتحرك من بعيد فقال لنفسه : إنها خنازير بريّة
تركض .. وواصل قلقه بصمد توتر الخيول غير
المفهوم ..

سمعوا الصراخ .. ورأوا خنزيرا بريّا عملاقا يتدفع ..
أدار رأسه نحوهم ثابته واحدة ، ثم واصل الركض عبر
الوادي ..

هنا توقف الفرسان الثلاثة وراحوا يرمقون الوادي .
قال القائد :

« لو لم تكن هذه النباتات الشوكية التي تذروها
الريح .. »

وهنا رأوا كرة عملاقة تتدحرج على بعد ياردات ...
لم تكن كرة تماما بل شيئا شفافا محاطا بمخاط كآته
قنديل البحر .. يجر خلفه نسيجًا متشابكا لزجا ..

قال الرجل الصغير :

« ليس هذا نباتا شوكيا .. »

وقال النحيل :

- « لست مرتاحا لهذا .. »

- « اللعنة ! » - قال القائد - « إن هذه الأشياء تعطلنا »
ودفعهم شعور غريزي كالذى يحرك قطيعا من الظباء
يهاجمه وحش ، إلى أن يديروا خيولهم فى اتجاه
الريح .. ويتقدموا بضع خطوات .. ثم يقفوا ليتأملوا
هذه الكتل المتحركة ..

كانت الكتل التى تمثل طليعة هذا الجيش العجيب
تتقدم من الركبان .. وراحت الخيول تتراقص وتقف
على أقدامها الخلفية .. هنا نفذ صبر القائد فجأة ..
وأطلق سبة :

- « ما الخطر من هذه الأشياء ؟ هلما نواصل
بحثنا ! » وجذب لجام حصانه فكاد يمزق فمه ..
- « سأتبع الأثر مهما حدث .. أين الأثر ؟ »

فما كاد يقولها حتى هوى خيط طويل على وجهه ..
وإلى مؤخرة رأسه جرى شيء سريع الحركة عديد
الأرجل ..

رفع رأسه : ليجد واحدة من هذه الكتل الرمادية
فوقه ، ونهايتها كشراع مركب لكن مع إحداث جنبه ..
وفى ذهنه انطبعت صورة عيون عديدة .. حشد من
الأجسام المترنحة .. أطراف عديدة تحاول الهبوط

فوقه .. ولبرهة راح يهدئ من روع الحصان بطريقة
غريزية وبأسلوب رجل خبر الفروسية .. وفى هذه
اللحظة التمع نصل السيف وهوى ليمزق خيط العنكبوت
الذى تتدلى تلكم الكتلة منه .. وعلى الفور انفصلت هذه
وتدحرجت بعيدا ..

- « عناكب ! » - كان هذا هو الرجل النحيل - « هذه
الكتل مفعمة بالعناكب ! انظر يا سيدى ! »

راح السيد ذو السرج الفضى يرمى الشيء المهشم
على الأرض .. واستطاع أن يميز أرجلا عديدة غير
محببة الشكل .. وهنا رأى الرجل النحيل يشير إلى كتلة
أخرى تتدلى فوقهم .. كان الوادى كله مليئا بأشياء
مماثلة ..

ولفترة حاول أن يفهم الموقف ..

أما ما حدث بعد ذلك فقد كان أقرب إلى فوضى
المعارك ..

رأى ذو السرج الفضى الرجل الصغير يتقدمه وهو
يضرب بوحشية خيوطا غير مرئية .. ثم رآه يتدفع نحو
الرجل النحيل فيصطدم به ليسقطه وجواده أرضا ..

أما جواده هو نفسه فقد مشى خطوات بعيدة قبل أن
يتمكن من جذب لجامه ، وإلى أعلى نظر ليتلافى أخطارا

تخليية .. وإلى الأرض نظر ليجد جواد الرجل النحيل يتلوى .. والرجل النحيل نفسه يضرب جسده ؛ ليعيد كتلة من اللون الرمادي تتموج فوق الحصان .. كانت كتل العنكبوت قادمة تنزوها الرياح ..

كان الرجل النحيل راجلاً الآن وهو يمسك بزمام حصانه محاولاً تهدئة هياجه .. وباليدي الأخرى يضرب بلا هدف ... وقد التحمت الكتلة الرمادية الأخرى به وبحصانه ..

توقف القائد وجذب لجام حصانه .. وأطرق برأسه .. كان الحصان الذي يتلوى على الأرض قد أغرقها بالدماء وراحت أشياء متحركة تلهو حول خاصرتيه .. عندها تركه الرجل النحيل وراح يركض للأمام قاصداً سيده ...

كانت ساقاه مغلفتين بالكتل الرمادية ، وثمة قناع من نفس اللون على وجهه .. وبيديه أتى بحركات غير مجدية محاولاً التملص .. ثم هوى متعثراً .. حاول النهوض وسقط ..

عندئذ راح يصدر أصواتاً مريئة :

« ووه .. أووووه ! »

ونظر القائد إلى الرجل الصغير فوجده مرتكزاً ببطنه

على ظهر جواده الأبيض وقد أمسك اللجام .. وكان يتلوى .. ومن جديد هوى خيط رمادي لزج على وجهه .. ورأى نسيج العنكبوت حوله وفوقه وتحتة ..

★ ★ ★

لن يعرف أبداً إلى يوم مماته ما حدث ساعتئذ .. هل هو من همز الحصان أم أن الحصان قد فر من تلقاء نفسه ؟ لا يهم .. يكفي أنه بعد ثاتية كان يركض عبر الوادي وسيفه يلوح في الهواء .. ومن حوله تتطاير كتل العناكب ونسجها ، كأنما تبحث عنه بحثاً واعياً مصمماً ..

كلاثر كلاثر ! .. والرجل ذو المبرج القضي ينظر لأعلى .. لليمين .. لليسار .. ويلوح بسيفه .. ومن ورائه الحصان الأبيض وراكبه على ظهره في وضع عفوى .. كان مصمماً على الفرار حتى إنه لم ير الخندق الذي أمامه ، وحين رآه كان رد فعله خاطئاً ومعوفاً لوثبة الحصان الغريزية .. اتحنى فوق عنق الحصان متأخراً جداً ..

لكنه إن كان قد نسي الوثب فهو لم ينس السقوط .. ولهذا استعاد خبرته في الفروسية وهو في الهواء .. وجعل السقطة طفيفة فيما عدا كدمة في كتفه .. وتدحرج الحصان وركل الهواء بأقدام متشنجة ثم تصلب تماماً ..

عاد الرجل يقف على قدميه لاهثاً .. ولدقيقة خطر له
أن يجرى ثم أدرك أنه آمن ها هنا في الخندق .. يمكنه
أن ينتظر ويرقب هذه العناكب حتى تهدأ الرياح ويغدو
الهرب مأموناً ..

وقد كان .. ولفترة طويلة جلس القرفصاء في
الخندق يرمق تلكم الكتل الرمادية تتطاير في فرجة
السماء فوق رأسه ..

ذات مرة سقط عنكبوت ضال في الخندق ورائه ..
وكان يبلغ قدماً في طوله وكان جسمه في حجم قبضة
الرجل ... راح الرجل يداعبه بطرف سيفه الذي تهشم
في السقطة - كأتما القدر يأبى أن يبقى فارسه بعد الآن
وراح يراقب بحثه الدقيق المحموم .. ثم رفع كعب
حذائه وحشمه مطلقاً سبه ..

مرّ وقت طويل قضاه - كعادته - في قرص أظفاره
وعض سلاميات يديه .. حتى أخرجه من شروده مجيء
الحصان الأبيض بفارسه ..

سمع الحوافر والصوت المطمئن .. ثم ظهر الرجل
ورأسه مغطى بنسيج العنكبوت .. اقترب دون أن يلفظ
بعبارة تحية أو أي شيء .. وعلى وجهه أمارات المرارة
والياس ..



لكه إن كان قد نسي الوثب فهو لم ينس السقوط ..

وأمام سيده الجالس وقف ..

- « هل تخليت عنه ؟ »

- « تعثر جوادى .. »

- « أعلم .. وكذلك أنا .. »

وضحك دون حبور .. فقال القائد الذى كان ذا سرج
فضى يوماً ما :

- « قلت لك : إن جوادى تعثر .. »

- « كلانا جبان ! »

رمقه القائد فى حنى وعض سلامياته بعنف أكثر ..
ثم ضمهم :

- « لا تدعنى جباناً .. »

- « أنت جبان مثلى .. »

- « ربما .. لكن هناك حداً يجب أن يجبن عنده كل
رجل .. لقد تعلمت ذلك أخيراً لكنك لم تفعل .. وهذا هو
الفارق بيننا .. »

- « لم أحسبك تاركه وقد أنقذ حياتك قبلها بدقيقة ..
أين كنت يا سيدى ؟ »

اللمت سحنة القائد وعض أنامله ..

- « لا أحد يدعونى جباناً .. وسيف مكسور خير من
لا شيء .. وحصان أبيض لن يقدر على حمل رجلين

أربعة أيام .. أنا أمقت الخيول البيضاء لكنى مضطر ..
هل فهمتى ؟ .. أنت تتوى أن تشوه سمعتى .. الرجال
على شاكلتك يفسدون الأمور .. وإلى جانب هذا ..
أنا لم أحبك قط ! »

ووقف الرجلان الواحد فى مواجهة الآخر ..
وفوق رأسيهما راحت كرات العناكب تتطاير .. ومن
بين الحصى نوى صوت حركة .. ركض أقدام ..
صرخة يأس .. ثم ضربة

★ ★ ★

توقفت الريح مساء .. وغربت الشمس فى صمت ..
ومن الخندق خرج الرجل الذى كان ذا سرج فضى !
وهو يقود الحصان الأبيض .. فكر لحظة فى استعادة
سرجه الفضى من الجواد النافق ، لكنه خشى الليل
وتسارع الهواء .. وخشى كذلك أن يجد جواده الحبيب
وقد تآكل تماماً ..

راح يرمى الوادى فى رهبة وتذكر نجاته من كل
الأحوال التى لا تقاها ..

- « كنت مليئاً بالشهوة .. لكنها لاقت جزاءها ..
بالتأكيد هى وهو قد ... »

وفجأة رأى عبر الوادى وفى ضوء الغروب دخاناً
يتصاعد ..

عندئذ تحول استسلامه إلى غضب مدهش .. دخان ؟
كاد يتجه بالحصان الأبيض نحوه .. لكن الريح عانت
تهب منذرة .. ورأى من بعيد خيوط عنكبوت رمادية
تطير .. أعاد النظر للدخان .. وغمغم :

- « ربما - على كل حال - لم يكونا هما »
لكنه كان يعرف جيداً ..

وانطلق بجواده بين بقايا العناكب التي تملأ الأرض
على الجانبين .. كانت هناك عناكب مينة تتغذى عليها
أخواتها الحية في شراة .. لقد ولى وقتها ولم تجد
ريحا تحملها إلى فرانس ..

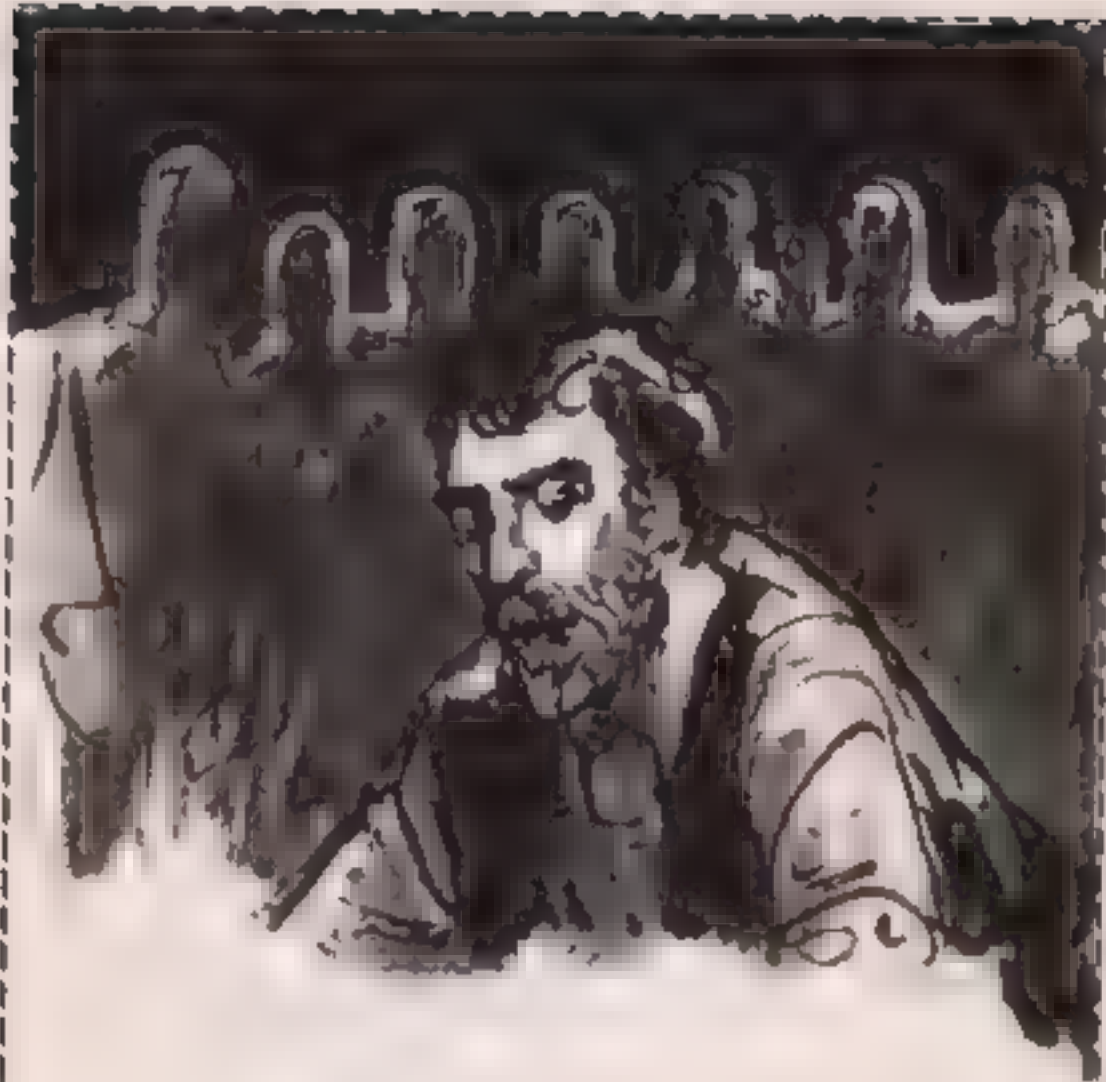
راح يبعد بحزامه العناكب التي تدنو أكثر من اللازم ..
ويبتعد ..

ومن حين لآخر ينظر ورائه إلى الدخان .

- « عناكب ! » - غمغم لنفسه مراراً - « .. عناكب ..
حسن .. حسن ! .. في المرة القادمة سأسج بيت
عنكبوت للمرأة ... »

(مارس ١٩٠٣)

★ ★ ★



بلد العميان

بلد العميان

ثلاثمائة ميل من (كيمبورازو) ومائة ميل من
ثلوج (كوتاباكسي) .. في أحراش الأنديز الإكوادوري ؛
هذا هو موقع ذلك الوادي الغامض المنعزل : بلد
العميان ..

كان هذا الوادي مفتوحاً على العالم منذ أعوام طوال ،
فكان الناس قادرين على المجيء إليه .. جاءت عائلة أو
اثنتان من سكان (بيرو) الهاربين من جشع وطغيان
المحتل الأسباني .. ثم جاءت زلازل (ميندوبامبا)
الرهيبية التي أظلمت لها سماء (كيتو) سبعة عشر
يوماً .. وغلى لها الماء في (ياجواتشي) ، عندئذ
انفصل جزء من أخدود (أرواكا) وعزل بلد العميان
عن المستكشفين إلى الأبد ..

غير أن واحداً من القادمين كان في الجانب الآخر من
المر حين ارتجفت الدنيا .. فنسى كل شيء عن ولده
وزوجه وبدأ حياة جديدة .. وأصيب فيما بعد بالعمى
ومات في أحد المناجم .. وعاشت القصة التي حكاهما
عن بلد العميان كأسطورة بين شعوب (كولديراز) حتى
اليوم .

قال الرجل : إن بلد العميان يزخر بكل ما يشتهي
الفؤاد .. ماء عذب .. خضرة .. طقس معتدل .. أرض
خصبة .. وغابة شامخة الأغصان تحوى ثمار الأناناس ..
والسماء لا تمطر ولا تتساقط منها الثلوج ها هنا ..
لكن الينابيع الوفيرة تعطي خضرة غنية ...
والحيوانات تتوالد وتنمو ..

لكن شيئاً واحداً أقصد رونق سعادة هؤلاء القوم ..
شيئاً واحداً لكنه عظيم الشأن .. فقد راح مرض غريب
يهاجمهم جعل كل أطفالهم مكفوفين البصر ..

وفي ذلك الوقت ما كان الناس يفكرون في الجراثيم
ولكن في الخطايا .. ورأى الرجل - الذي عاد إلى هذا
البلد - أن سبب المرض يعود إلى إهمال هؤلاء القوم
لإنشاء محراب في أرضهم .. وأزمع أن ينشئ محراباً
جميلاً زهيد التكلفة تقام فيه الصلوات وتعلق فيه
الأيقونات ..

لكنه حين أحضر قسماً مبشراً ليعود ، به إلى هناك ؛
وجد الزلزال قد عزل هذه الأرض تماماً عن عالمنا ..



وواصل الداء مسيرته في هذا الوادي المقفر
المنمى .. صار الشيوخ ضعيفي البصر .. وصغار السن

يرون بعسر ومشقة .. أما الأطفال فلم يكونوا يرون على الإطلاق ..

لكن الحياة كانت ميسرة في هذا الوادي الذي حاصره الجليد ، دون أدغال ولا حشرات ضارة ولا وحوش فيما عدا قطعان (اللاما) التي راحوا يرعونها هناك ... واستمر بصرهم يتلاشى بالتدريج حتى إنهم لم يلاحظوا ما يفقدون .. وراحوا يقودون الصغار العميان منها وهناك حتى يحفظوا معالم الوادي بدقة ، وحينما تلاشى النظر نهائياً من عالمهم كانوا قادرين على الاستمرار .. تعلموا كيف يسيطرون على نار لا يرونها .. فقد كانوا أناساً بسطاء لم تمسهم الحضارة الأسبانية إلا قليلاً .. لكنهم يملكون الثقافة التقليدية لشعوب (بيرو) وفلسفتهم القديمة ..

وراح جيل يتلو جيلاً .. ونسوا العديد من الأشياء ، وابتكروا العديد من الأشياء .. وصار العالم الذي جاءوا منه باهتاً غير مؤكد .. وفيما عدا البصر ظلوا أقوياء قادرين .. ونما المجتمع الصغير في العدد وفي التفاهم .. حتى جاء الوقت الذي ولد فيه أول طفل من الجيل الخامس عشر ..

وفي يوم من الأيام دخل رجل من العالم الخارجي إلى هذا العالم .. وهناك قصته



كان متسلق جبال من بلدة قرب (كيتو) .. رجل أسفار رأى العالم وقرأ كثيراً ... وقد اصطحبته مجموعة من الإنجليز قدموا إلى (الإكوادور) لاستكشاف الجبال بدلاً من مرشدهم السويسري الذي أصابه المرض ..

ولقد تسلق الجبال في كل مكان حتى وصل إلى جبل (باراسكوتوبتل) في (الأنديز) .. حيث فقد العالم الخارجي أخباره .. وقد سررت جهات كثيرة القصة لكن خيرها ما نشر في جريدة (بوينتر) ؛ وتحكى كيف أن المجموعة واصلت صعودها شبه الرأسى ، وبنى رجالها مأوى ليلياً وسط الثلوج على حافة صخرة .. ثم بقوة مسرحية اكتشفوا أن (نونيز) لم يعد بينهم .. صرخوا فلم يتلقوا إجابة .. ولم ينم أحدهم ليلتها ..

وفي الصباح رأوا آثار سقطته .. لقد انزلق غرباً نحو الجانب المجهول من الجبل لينحدر فوق الثلوج إلى حيث يتوارى المشهد .. ومن بعيد رأوا أشجاراً في وادٍ سحيق هو بلد العميان .. لكنهم لم يعرفوا أن هذا هو

بلد العميان .. لقد حطم الحادث أعصابهم وأزمعوا عند
الظهيرة أن يتخلوا عن المحاولة .. ولم تزل القمة التي
لا تقهر نيزهو بها جبل (بارسكوتوبتل) حتى ساعتنا
هذه ...

لكن الرجل الذي هوى لم يمت ! ..

عند نهاية الجبل هوى ألف قدم ، وهبط وسط سحابة
من الثلج فوق منحني جليدي .. وعندئذ تمدد فأقذ
الحس لكن دون عظمة مهشمة واحدة .. ودفن وسط
كومة ناعمة من الثلج صاحبت سقطته وخفت منها ..
عاد إلى وعيه متخيلاً أنه سقيم في الفراش .. ثم
أدرك موقفه بفطنة متسلق جبال ، فتحرر وراح يرمى
الجبال والنجوم .. لقد تمزقت أكثر أزرار معطفه
وضاعت قبعته وفأسه ..

نظر لأعلى فرأى في ضوء القمر تلك المسافة
الرهيبه التي سقطها ..

وقف على قدميه شاعرا بألم في كل مفصل من
مفاصله .. وهبط في منحدر جليدي حتى تمدد جوار
صخرة كبيرة ، وجرع جرعة كبيرة من زجاجة يحملها
في جيبه الداخلي ثم غرق في النعاس ..

★ ★ ★

أيقظه غناء الطيور ، فجلس مدركاً أنه عند سفح قمة
واسعة .. وأمام عينيه كان حائط عملاق يسد السماء ..
راح ينزل في منحدرات وعرة حتى رأى مجموعة
من الأكواخ الحجرية غريبة الشكل .. وكانت هناك
أشجار ..

هنا كان المصاء قد حل والهواء يزداد برودة ..
عند منتصف اليوم التالي وصل إلى الوادي .. فجلس
في ظل صخرة وملاً زجاجته من ماء ينبوع وتجرعها ..
ثم مشى نحو المنازل التي رآها أمس ..
كانت غريبة تماماً بالنسبة له .. الوادي كله بدا له
غريباً غير معتاد ... أكثره مغطى بكلاً أخضر تنتثر فيه
الزهور .. ويتم ربه بوساطة قنوات تم حفرها بعناية
فائقة ..

كانت هناك قناة مائية تحيط بالوادي ، وعلى
المنحدرات العالية كانت (اللاما) ترعى العشب ..
ورأى الرجل طرفاً تم تمهيدها من صخور بيضاء
وسوداء .. أما البيوت نفسها فكانت متعددة الألوان إلى
حد لا يصدق ، وما من نافذة في أي منها .. وهنا فقط
خطرت له لفظة (أعمى) .. الرجل الطبيب الذي اختار
هذه الألوان كان بالتأكيد أعمى كوطواط ..

دنا أكثر فرأى حشداً من رجال ونساء يستريحون فوق العشب كأنما في قيلولة ، من بعيد بعض الصبية يرقدون .. وفي الناحية النائية من المروج رأى رجالاً يحملون قرب الماء عبر الطريق الضيق المتجه إلى المنازل ، وكانوا يرتدون ثياباً ونعالاً وأغطية رأس من فراء اللاما وجلدها ..

كان منظر القوم مطمئناً ، فوقف (نيونز) فوق الصخرة ليجعل نفسه واضحاً للعيان .. وصرخ بأعلى صوته صرخة ردها الوادي ..

توقف ثلاثة من الرجال وحركوا رؤوسهم كأنما يبحثون من حولهم .. فلوح لهم (نيونز) .. لكنهم لم يظهروا ما يدل على أنهم أبصروه .. بل قصدوا الجبل على اليمين وصرخوا .. لوح لهم (نيونز) وللمرة الثانية خطرت له لفظة (أعمى) .. « لا بد أن هؤلاء الحمقى صميان .. »

أخيراً عبر جسراً صغيراً فوق مجرى الماء ، وعبر بوابة حجرية ؛ ليصل إليهم .. الآن غداً واثقاً من أن هذا هو بلد العميان الذي تكلمت عنه الأسطورة ..

وقف الرجال الثلاثة متجاورين .. لا أحد منهم ينظر له بعينه لكن بأذنيه .. وبدأ شيء من الوجمل في

وقفتهم المتراصة .. وأبرك أن جفونهم ملتصقة غائرة كأنما المحاجر خلفها قد تلاشت ..

قال أحدهم بلغة أسبانية يستحيل تبينها :

- « رجل .. رجل أو روح .. جاء من الصخور .. »

تقدم (نيونز) بخطى ثابتة من الشاب ، وفي ذهنه كل القصص المفقودة عن بلد العميان .. وترددت في ذهنه تلك المقولة الشائعة مراراً وتكراراً :

- « في بلد العميان يغدو الأعور ملكاً .. »

حياتهم بشكل شديد التحضر .. وتحدث معهم .. تساعل أحدهم :

- « من أين الرجل يا أخ (بدرو) ؟ »

قال (نيونز) :

- « من فوق الجبال .. من البلاد هناك حيث يبصر الناس .. من (بوجاتا) حيث يعيش ثلاثمائة ألف نسمة وتبعد المدينة عن البصر .. »

- « بصر !؟ .. بصر !؟ »

قال الأعمى الثاني :

- « جاء من وراء الصخور .. »

كانوا يمدون أيديهم نحوه بحركات متزامنة .. فتراجع بعيداً عن أناملهم .

قال الأعمى الثالث وهو يتجه نحوه بدقة ويمسك به :

- « تعال ها هنا ! »

وزاحوا يتحسونه دون أن يتبادلوا كلمة واحدة ..

- « خنوا الحذر ! »

قالها (نيونز) متألماً من إصبع في عينه .. لقد وجدوها وبدت لهم بجفونها الرامشة شيئاً مثيراً للعجب ..

قال المدعو (بدرو) :

- « هذا مخلوق غريب يا (كوربا) .. تأمل خشونة

شعره كشر (اللاما) »

رد (كوربا) وهو يتحسس ذقن (نيونز) بيد ناعمة رطبة :

- « خشن هو كالصخور التي جاء منها .. ربما يزداد نعومة فيما بعد » .

- « بحذر ! »

قالها (نيونز) وهو يحاول التملص منهم .. وهنا اقترح (بدرو) :

- « هلم نقده إلى الكبار .. »

وأمسك (بدرو) بيد (نيونز) ليقوده إلى البيوت .. فسحب هذا يده :

- « أستطيع أن أرى .. »

- « ترى ؟ »

وهنا تعثر (نيونز) في الحقيبة التي كان (بدرو) يحملها .. فقال الثالث :

- « حواسه ما زالت غير دقيقة .. إنه يتعثر ويقول أشياء بلا معنى .. امسكوا بيده .. »

ضحك (نيونز) ومد يده لهم مستسلماً .. مسيحين الوقت الذي يعلمهم فيه ما لا يفهمون ..

وهنا سمع الصراخ ، ورأى عدداً من القوم يحتشدون في مركز القرية .. وأحاط به حشد من النساء والأطفال كلهم لهم نفس العيون الغائرة الملتصقة .. وشعر بأيدي حساسة ناعمة تتحسسه وأتوف تشمه .. لكن بعض الواقفين ظلوا يخشونه .. وأدرك أن صوته كان خشناً فظاً بالنسبة لأصوات هؤلاء الناس ..

ظل الرجال الثلاثة يحيطونه بنوع من الامتلاك مردين مراراً وتكراراً :

- « رجل متوحش من الصخور » .

قال (نيونز) :

- « من (بوجوتا) .. (بوجوتا) .. »

- « رجل متوحش يستعمل ألفاظاً متوحشة .. أسمعتم

هذا ؟ (بوجوتا) ؟ إن عقله لم يتشكل بعد وما زال يستعمل كلاماً بدائياً .. »

« اجلبوه إلى الكبار .. »

واندفع إلى غرفة دامية الظلام تلتصع النار في نهايتها .. وأحاط به الجميع وضغطوا عليه فسقط عند قدمي رجل جالس .. وشعر بأيد عديدة تتحسسه فصاح :
« لا أرى شيئاً في هذا الظلام .. »

ساد صمت كأنما القوم حوله يحاولون فهم كلماته .. ثم سمع صوت (كوريرا) يقول :

« هو رجل جديد الخلق .. يتعثر في مشيه ويقول كلاماً بلا معنى » سألهم :

« هل لي أن أقف ؟ لن أقاوم .. »

فسمحوا له بالتهوض ..

عندها راح العجوز يسأله ، وراح (نيونز) يشرح له العالم الكبير الذي سقط منه .. والسماء والعجائب التي لم يرها أولئك الشيوخ الجالسون في الظلام في وادي العميان ..

لكن القوم لم يفهموا أكثر ما قال ، ولم يبالوا به .. لقد انقطع هؤلاء القوم عن العالم الخارجي أربعة عشر جيلاً .. تغيرت أسماء كل شيء ، وصارت دنيانا مجرد قصة أطفال خيالية ..

وتكفل حماؤهم بنقى كل الذكريات الباهتة التي حملوها معهم من العالم الخارجي .. ناقشوها .. وأثبتوا أنها أوهام .. واستبدلوا بها تفسيرات أكثر حكمة .. نبل جزء كبير من مخيلتهم مع أبصارهم .. لكنهم صنعوا لأنفسهم خيالات جديدة بأناتهم وأناملهم شديدة الحساسية ..

ولما قنط (نيونز) من جعلهم يفقهون كنه الإبصار ؛ راح يصفي إلى تعليماتهم ..

شرح له أكبر القوم الحياة والفلسفة والدين .. وكيف أن عالمهم كان في البدء حفرة في الصخر . ثم ولدت مخلوقات بدائية عاجزة عن اللمس ومعها حيوانات (اللاما) .. ثم جاء البشر فالملائكة التي تحدث أصواتاً لكن أحداً لا يقدر على لمسها ..

حيز هذا الجزء (نيونز) قليلاً ثم عرف أنهم يتكلمون عن الطيور ..

راح الرجل يحكي له (نيونز) كيف أن الزمن انقسم إلى جزأين ؛ بارد ودافئ - وهما المعادلان المكفوفان لليل والنهار - وكيف أنه من المستحب أن ينام المرء في (الدافئ) ويعمل في (البارد) ..

وقال له (نيونز) إنه يجب أن يختم الحكمة التي

اكتسبوا .. وأنه - برغم تعثره وعجزه عن الكلام -
يجب أن يتعلم وأن يكون ذا شجاعة ، هنا راح القوم
يغمغمون مؤيدين ..

قال كذلك : إن (الدافن) قد توغل ؛ وإنه من الخير
أن يعود كل امرئ إلى فراشه لينام ..

قال (نيونز) إنه راغب في أن يصيب بعض الطعام
قبل أن ينام .. فجليبوا له بعض لبن (اللاما) في
(سلطانية) ومعها خبز خشن مملح .. ثم قادوه لمكان
منعزل ؛ ليأكل فيه ويغفو حتى يوقظهم هواء ليلنا البارد
كى يباشروا عمل يوم جديد ..

لكن (نيونز) لم يتم قط ..

جلس حيث تركوه ، وأراح جسده إلى الوراء وراح
يستعرض ما حدث له منذ جاء ها هنا ..

- « عقل غير ناضج ..! لا حواس !.. إتهم
لا يعلمون أنهم يهينون سيدهم وملكهم الأعلى .. يجب
أن أردهم إلى الصواب .. »

وما زال يفكر حين غربت الشمس ..

خرج ليرمق القرية .. انعكاس الشمس الغاربة فوق
الجليد كأجمل ما رآه في حياته .. انتابته رجفة من
العرفان فحمد الله من أعماق قلبه على نعمة البصر
التي منحه الله إياها ..

هنا سمع من يناديه من القرية :

- « هيه أنت ! (بوجوتا) !.. تعال ! »

وقف وابتسم .. سيرى هؤلاء القوم معنى الإبصار

الآن .. لسوف يبحثون عنه لكنهم لن يجدوه ..

ضحك .. وتتحى خطوتين عن الطريق .. فسمع من

يقول :

- « لا تمش على العشب يا (بوجوتا) .. فهذا غير

مسموح به .. »

تصلب (نيونز) مدهوشا ..

فهو لا يكاد يسمع صوت خطواته هو نفسه ..

وجاء صاحب الصوت مندفعاً نحوه .. فعاد (نيونز)

إلى الطريق وقال :

- « هأنذا .. »

قال الأعمى :

- « لم تأت حين ناديتك ؟ أينبغى أن تُقاد كطفل ؟

ألا تسمع صوت الطريق تحت قدميك ؟ »

- « نعم .. لأننى أراه .. »

- « لا توجد كلمة اسمها (أراه) .. هلم اتبع صوت

خطواتى .. »

تبعه (نيونز) شاعراً بالحنق .. وغمغم :

- « ألم تسمع مقولة (فى بلاد العميان يفتدو الأعور ملكا ؟ »

- « ما معنى (العميان) ؟ »
ومرت أربعة أيام ..

وفى اليوم الخامس كان الملك بعد نكرة .. مجرد غريب أخرق بلا نفع .. كان الأمر أعسر مما ظن ...
على أنه راح يتعلم أساليب وعادات بلد العميان ..
وكان أول ما ضايقه وأزعج تغييره هو موضوع العمل ليلا ..

إن هؤلاء القوم يعيشون حياة شاقة بسيطة لكنها سعيدة .. كانت لديهم كفايتهم من الثياب والأطعمة ..
وكانوا ينالون قسطاً من الراحة ولديهم غناء وموسيقا ..
ولديهم حب ..

كان كل شيء فى الوادى مصمماً لقضاء حاجاتهم ..
كل الطريق لها علامة بارزة خاصة عند بدايتها كل العوائق فى الطريق قد تمت إزالتها ..

وكانت حواسهم قد صارت مرهفة بشكل مذهل ..
حتى غدا بوسعهم سماع حركة رجل على بعد اثنتى عشرة خطوة .. وربما سمعوا خفقات قلبه ..

بالإضافة لذلك كانت قدرتهم على الشم مذهلة ..
وكانوا يعرفون المرء من رائحته كما تفعل الكلاب تماماً ..

تمرد (نيوتز) فقط بعد ما جرب الإقناع الودى مع هؤلاء القوم ..

حاول مراراً أن يحدثهم عن الإبصار :
- « اصغوا لى يا قوم .. ثمة أشياء لا تفهمونها فى .. »
وقف رجل أو اثنان يصغون له ، وقد أداروا آذانهم تجاهه ..

وحاول جهده كى يحدثهم عن معنى الإبصار ..
كانت هناك فتاة بين المستمعين .. فتاة لها جفنان أقل احمراراً وغوراً من الآخرين مما يعطيها انطباعاً بأنها تطرق حياء .. وقد حاول أن يقتع هذه بالذات ..
تحدث عن جمال الجبال .. عن الشمس .. عن
الفجر .. وراحوا يصغون إليه فى عدم تصديق يمازجه شعور بالتسلية ..

قالوا له : إنه لا توجد جبال ، وإن الصخور التى ترعى عندها (اللاما) هى نهاية العالم .. بعد هذا يبدأ سقف العالم ..

قال لهم : إن العالم بلا سقف ولا نهاية .. فقالوا إن أفكاره شيطانية .. لقد هز عقائدهم وإيمانهم بأن للعالم سقفا أملس ناعما ..

هنا تخلص عن المحاولة وأزمع أن يريهم جدوى الإبصار ..

رأى (بدرو) قادما على الطريق الذى يسمونه (السابع عشر) نحو مركز القرية ، لكنه كان أبعد من أن يسمع أو يشم ..

قال لهم متنبئا :

- « بعد هنيهة سيكون (بدرو) ها هنا » .

قال أحد الشيوخ إن (بدرو) لا يوجد ما يدعوه إلى المشى فى الطريق (السابع عشر) .

وهنا - وكأنما ليؤكد الكلام - غير (بدرو) مساره ليمشى فى الطريق (العاشر) !

سخر القوم من (نيونز) حينما لم يأت (بدرو) ، وفيما بعد حاول أن يفهم من (بدرو) سر تغييره لطريقه .. لكن هذا الأخير أنكر وتهرب .. ثم صار معاديا تجاهه ..

حاول أن يحدثهم عما يحدث بين المنازل .. لكنهم طلبوا منه أن يحدثهم عما يحدث بداخلها .. ولما

أخبرهم أن هذا مستحيل حتى لمن كان بصيرا قوبل بسخرية لم يخفوها ..

عندها قرر استعمال القوة ..

فكر فى حمل هراوة بهشم بها رأسا أو رأسين ليعرف الباقون نفع الإبصار .. هنا عرف عن نفسه شيئا جديدا : من المستحيل عليه أن بهشم رأس رجل ضريب بأعصاب باردة ..

تردد .. لكنه عرف أنهم جميعا أحسنوا بأنه يمسك الهراوة .. رأهم قد تصلبوا وراحوا يرهفون السمع لمعرفة ما ينوى عمله .. وقال واحد منهم :

- « ألق الهراوة حالا .. »

شعر (نيونز) بنوع من الرعب العاجز ، وكاد يطيع .. ثم إنه قذف بواحد منهم إلى جدار وانسل من جواره خارجا من القرية ..

ذهب إلى أحد المروج وجلس .. كان يشعر باتدافع للنقات لكنه كان حائرا .. وبدأ يدرك أنه من الصير عليك أن تقاتل فى رضا رجلا يختلف عنك فى أساس فكره ..

ومن بعيد رأى جمعا منهم يحملون العصي ويمشون فى مسارات متفرقة نحوه .. كانوا يمشون ببطء ويتحدثون مع بعضهم ويتشممون الهواء ..

ضحك (نيوتز) حينما رأهم .. لكنه بعد هذا كف
عن الضحك ..

راح يرقب حزامهم .. وأرداه ذعره ..

وقف خمس دقائق يرمق الحصار يزداد إحكاما . ثم
قرر أن يتحرك .. كانوا يحيطون به على شكل هلال
ويصفون ..

قبض على الهراوة وارتفع التبرع إلى أذنيه ..

« فى بلد العميان يقدو الأعور ملكا »

هل يضربهم ؟ ..

- « (بوجوتا) .. أين أنت ؟ »

احتضن الهراوة بقوة أكبر واتجه نحو المروج ..
لسوف أقتلهم لو لمسونى .. بحق السماء سأضرب ..
ونادى بصوت عال :

- « اصغوا إلى .. لسوف أفعل ما أريد فى هذا
الوادى .. أسمعون ؟ »

سأفعل ما أريد .. وأذهب حيثما أريد ! »

لكنهم كانوا قادمين بسرعة نحوه .. كأنما يلعبون
(المساكاة) وقد غطى الجميع أعينهم فيما عدا واحدا ..

- « اقبطوا عليه .. »

شعر بأنه يجب أن يكون حازما .. فصاح فيهم

بصوت كان من المفترض أن يكون قويا :

- « أنتم لا تفهمون .. » - وهنا صار صوته

مبحوحا - « أنتم عميان وأنا مبصر .. دعونى وشائى ! »

- « (بوجوتا) .. دع الهراوة وتعال ! .. »

- « سأؤذيكم ! » - بصوت يرتجف انفعالا - « بحق

السماء .. دعونى وشائى .. »

وراح يركض غير عالم إلى أين .. تجنب الأعمى

الأول ، ثم استدار ليتفادى صفوفهم .. اتجه نحو ثغرة

بينهم لكن الرجال أحسوا بقدومه فاغلقوها .. كان هناك

رجل يسد الطريق عليه .. سويش ! .. شعر بالضربة

تهوى على الذراع .. وسقط الأعمى على الأرض يلن

ألما .. لكنه قد مر من بينهم .. مر ! ..

عاد يركض فى الشارع بينما عاد العميان يتبعونه

ملوحين بهراواتهم وعصيهم .. وهنا سمع جلبة خلفه

فاستدار ليرى رجلا عملاقا ينقض عليه بعد ما سمع

صوت خطواته .. فقد أعصابه فهوى على رأس الرجل

بالهراوة ..

لقد تملكه الهلع .. راح يجرى بجنون وهو يتلفت

حوله فيتعثر .. وهنا وجد بابا فى الجدار المحيط

بالقرية كأنه باب الجنة ..

فاندفع نحوه وعبره .. ومشى فوق الجسر ... وأثار
فزع (لاما) صغيرة ففرت بعيدا .. ثم رقد أرضا يلهث
من أجل الهواء ..

وهكذا انتهت مغامرته ..

قضى ليلتين خارج السور دون طعام ولا مأوى ،
يتأمل فى كل ما لم يتوقعه .. راح يردد دون كلل :
- « فى بلد العميان يقدو الأعور ملكا .. »

رسم خططاً عديدة يقهر بها هؤلاء القوم .. لكن
ما من طريقة بدت له ممكنة . ليس لديه سلاح ومن
العسير الحصول على واحد .

ما زال عاجزاً عن التفكير فى قتل رجل أعمى .. ولو
فعل هذا لكان بوسعهم أن يملئ عليهم شروطه .. لكن
- عاجلاً أم آجلاً - سينام !

حاول أن يجد طعاماً فى أشجار الأناناس أو أن يقتل
(لاما) بحجر كى يأكلها .. لكن (اللاما) ظلت مرتابة
فيه ترمقه بعينها غير مطمئنة ، وتبصق حين يمر
جوارها ..

فى اليوم الثانى شعر بالذعر وراح يرتجف برذا ...
وفى النهاية تسلق الحائط وعاد إلى وادى العميان

وقرر أن يعقد صلحاً .. وهكذا راح يصرخ حتى جاءه
رجلان ضريران :

- « كنت مجنوناً .. لكنى حديث الصنع كما تعلمان »
قالا : إن هذا أفضل .. فقال لهما : إنه ازداد حكمة
وإنه نادم على ما صنع .. وفجأة بكى .. بكى من ضعفه
ومرضه .. واعتبر الرجلان هذه علامة حميدة ..

سألاه عما إذا كان يعتقد بعد أنه (يرى) .. فقال :
- « لا .. كانت هذه حماقة .. فاللغة بلا معنى تماماً »
سألاه عما فوق الرعوس :

- « توجد قبة من الصخور الملساء تعلونا بعشرة
أمثال قامة الرجل واتخرط فى بكاء هستيرى :
- « قبل أن تسألا المزيد أعطيتى بعض الطعام قبل
أن أموت » .

وتوقع العقاب .. لكن هؤلاء العميان كانوا يملكون
قدرة عالية على التسامح ، واعتبروا ثورته دليلاً آخر
على عتبه وانحطاطه ..

جلدوه قليلاً ثم كلفوه بأبسط وأشق الأعمال .. ولم
يكن لديه طريق آخر للحياة فخضع لما يطلبون منه ..

وهكذا غدا (نيونز) مواطناً صالحاً فى بلد العميان ،
وكف أولئك الناس عن أن يكونوا عامنين بالنسبة له ..

بل بدأ يرى الفوارق الفردية بين بعضهم والبعض ..
وبدأ العالم الخارجى يغدو باهتاً غير واقعى ..

كان هناك (يعقوب) سيده - رجل طيب حين لا يثار -
و (بدرو) ابن أخ (يعقوب) .. و (ميديناسروتى)
صغرى بنات (يعقوب) .. لم يكن العميان يعجبون بها
لأن وجهها حاد وليست فيه تلك المنحنيات الناعمة التى
هى فكرتهم عن الجمال الأنثوى .. لكن (نيونز)
وجدها جميلة .. جميلة حقاً ..

ولم يكن جفناها غائرين وأحمرين بل طبيعيين ، كان
عينيهما قد تفتحان فى أية لحظة .. وكانت أهدابها طويلة ،
الأمر الذى يعتبره العميان تشويهاً مروعاً .. ثم إن
صوتها كان قوياً لا يناسب أسماعهم الموهنة .. لهذا لم
يحبها أحد فى الوادى ..

وجاء وقت فكر فيه (نيونز) أنه لو فاز بها لأحب
البقاء فى الوادى ابداً ..

راح يراقبها .. وينتهر الفرصة ، ليقدم لها خدمات
صغيرة .. حتى وجد أنها لاحظته .. وذات مرة وضع
يده على يدها فامسكتها وبادلتها الضغط فى رقة ..
فكر فى أن يكلمها ..

قصدها يوماً وهى جالسة فى ضوء القمر تغزل
الصوف ، وجعلها ضوء القمر كياتاً من الفضة
والغموض .. جلس عند قدميها وصارحها بحبه ..
صوت العاشق تكلم ولم يكن قد مسها من قبل .. لم ترد
عليه لكنه عرف أن كلماته سرتها ..

حدثها يوماً عن البصر ...

بدأ لها البصر خيالاً شاعرياً لا يوصف .. وأصفت
لوصفه للتجوم والجبال وجمالها العذب كأنما تمارس
فعلاً شائناً .. لم تفهم نصف ما قال ولم تصدق كل
ما قال لكنها شعرت بسرور غامض .

وهكذا بدأ حبه يكتسب الشجاعة ..

قرر أن يطلب يدها من (يعقوب) والكبار ، لكنها
خشيت ذلك .. وكانت أختها الكبرى هى من أخبرت
أباها أن (نيونز) و (ميدينا ساروتى) متحابان ..

لاقى الأمر معارضة شديدة من البداية ليس لأنهم
يقدرونها .. ولكن لأنهم يعاملونه كمجذوب .. كشيء
معدوم الكفاءة أدنى من المستوى الذى يُسمح به
للرجل .

شقيقاتها عارضن بشدة لأن هذا يجلب العار على
رعوسهن .. وبرغم كون (يعقوب) قد بدأ يميل إلى

الفتى ، فقد قال : إن هذا لن يصير .. وثار الشباب على فكرة تعكير جنسهم وتكدير نسبهم ..

لكن (يعقوب) العجوز كان مشفقاً على ابنته الصغرى وأحزنه أن يجدها تنتحب على كتفه ..
« أنت ترين واعزيزتى أنه أحقق .. لا يفعل أى شيء بشكل صحيح .. »

« أعرف .. لكنه أفضل مما كان .. وهو قوى وطيب القلب .. وهو يحبنى يا أبى وأنا أحبه .. »
تضايق (يعقوب) من إجابتها وضايقه أكثر أنه كان يحب الفتى .. لذا راح يجلس مع الشيوخ ليقول لهم :
« لقد غدا أفضل مما كان .. وربما .. يوماً ما .. نجده عاقلاً مثلنا .. »

فكر أحد الشيوخ قليلاً ثم توصل إلى حل ..
كان هو طبيب هؤلاء القوم ، وكان له عقل فلسفى مبتكر .. وقد راقى له فكرة شفاء (نيوتن) ..
قال لـ (يعقوب) :

« لقد فحصت (بوجوتا) .. إن المسألة واضحة لى .. ويمكن شفاؤه دون شك .. »
قال (يعقوب) فى رضا :
« لظالما تمنيت ذلك .. »

« إن عقله مريض .. »

همهم الشيوخ معربين عن موافقتهم .. فأردف الطبيب :

« هذان .. » - وأشار إلى وجهه - « هذان الشيطان الغامضان اللذان يسمونهما العينين .. (إنهما منتفختان عنده وعليهما أهداب وجفناه يتحركان .. لهذا يعانى منه من التهيج والتفتت .. »

« وبعد ؟ »

« لهذا أقول بشيء من يقين : (إننا - كى نشفيه - نحتاج إلى جراحة بسيطة .. إزالة هذين الجسمين المزعجين .. »

« وعندئذ يعود إلى صوابه ؟ »

« سيغدو عندئذ مواطناً يثير الإعجاب .. »

صاح (يعقوب) فى مرح :

« حمداً لله على نعمة العلم ! »

وهرع ليذف النبا المسار إلى (نيوتن) ..

★ ★ ★

كان رد فعل (نيوتن) مخيباً للأمل ..

قال (يعقوب) :

« إن المرء ليحسب من نبرة صوتك أنك غير راغب

فى ابنتى .. »

وحاولت الفتاة إقناعه .. ولكنه قال :

« أنت تريدان حرمانى من هبة الإبصار .. »

هزت رأسها ..

أردف :

« تلك الأشياء بارعة الجمال .. الزهور .. نبات

الحزاز بين الصخور .. السماء القصية بغيومها ..

القروب .. النجوم .. وأنت .. كفاتى بالبصر أنه يرينى

وجهك العذب ويديك المتعاقبتين .. وأنتم تريدون لى أن

أتوارى تحت سقف الظلام الذى سجن خيالكم فيه ؟

كلا .. لن تريدى هذا لى .. »

قالت :

« أحيانا .. أتمنى أن »

ثم توقفت عن الكلام .. فرجاها أن تكمل ..

« أحيانا .. أتمنى ألا تتكلم بهذه الطريقة .. »

« أية طريقة ؟ »

« أعرف أنه جميل - أعنى خيالك - وأنا أحبه ..

لكن .. »

« لكن ... ؟ »

واعتمدت فى وقتها وتساءلت :

« تعنين أنتى .. ينبغى أن ؟ »

وبدأ يفهم بسرعة ..

شعر الحنق على مسار الأمور وبالشفقة على عجزها

عن الفهم ..

وأدرك من شحوبها كيف أن روحها تضغط بعنف

على الأشياء التى لا تجرؤ على التلطف بها ..

بعد برهة سألها بلطف :

« ولو أنتى وافقت على هذه الجراحة ؟ »

ارتمت على صدره ولفت ذراعيها حول عنقه وبكت

بحرقة :

« ليتك تفعل ! .. ليتك تفعل ! »

★ ★ ★

لم ينم (نيوتز) طوال الأسبوع السابق للجراحة ..

الأسبوع الذى أريد به إعداده : ليكون لائقا بالعمل ..

وأن يرتفع من مستوى العبودية والانحطاط إلى مستوى

المواطن المحترم المكفوف ..

راح يقضى ساعات الصباح - حين يغفو الجميع -

فى التجوال بلا هدف ..

لقد وافق .. لكنه لم يكن واثقا من الصواب بعد ..

إنها آخر أيام الإبصار بالنسبة له ..

وقضى دقائق مع (ميدينا - ساروتى) قبل أن تنام .
قال لها :

- « غذا .. لن أرى ثانية .. »

ضغطت يديه بقوة .. وهمت :

- « يا قلبى ! »

وأرشف :

- « لن يؤذوك إلا قليلاً .. ستتحمل الأكم يا حبيبى ..

من أجلى .. لو كان يوسعى أن أمنحك عمرى لفعلت .. »

غرق فى الشعور بالحسرة على حاله وحالها ..

تأمل وجهها الجميل للمرة الأخيرة .. وهمس :

- « وداغاً ! .. »

وابتعد فى صمت ..

كان يزعم الذهاب إلى مكان منعزل تبدو فيه المروج

مزهوة بزهر النرجس .. ويبقى هناك حتى ساعة

الأضحية ..

لكنه رفع عينيه فرأى النهار ..

النهار كمالك يرتدى درعاً ذهبية ويمشى عبر

المتحدرات ..

عندئذ بدت له حياته فى الوادى وحببه وكل شيء

مجرد لطفة آثمة .. ولم يعد كما اتوى .. بل واصل

التقدم ..

خرج من السور .. واجتاز حاجز الصخور .. وراح
يتذكر العالم الحر العظيم الذى جاء منه .. العالم الذى
كان كله ملكاً له .. و (بوجوتا) بلده .. عظيمة
نهاراً .. غامضة ساحرة ليلاً ..

تذكر رحلات النهر والعالم الواسع والقرى والغابات
والصحارى وانفجاع الأنهار ..

والبحر العظيم بآلاف الجزر .. ثم السماء .. لون
السماء .. الأزرق الذى يفوق الوصف .. بحر النجوم
السرمدى ..

راحت عيناه تمسحان ستار الجبال ..

لو أنه تسلق هذا الممر إلى المدخنة الثلجية
الصاعدة .. ثم نفذ بين الأشجار صاعداً .. وبعد هذا ؟

بعدها يصل إلى السفح ويبحث عن مخرج .. وبعدها ؟
ربما يمكن للمرء أن يتفد إلى أعلى الجليد الكهرماتى
نحو قمة الجبال ..

★ ★ ★

نظر إلى القرية من جديد ..

وتذكر (ميدينا ساروتى) .. لكنها بدت له ضئيلة
بعيدة .

استدار نحو الجبال .. وراح يتسلق ..

★ ★ ★

وحيث غربت الشمس كان في مكان عال بعيد ..
لقد تمزقت ثيابه وتلوثت أطرافه بالدم وملأت
الكدمات جسده .. لكنه رقد مبتسما يرمق النجوم
وكان سعيدا ...

ومن بعيد لاح وادي العميان كجحر على بعد ميل
منه ، غارقا في الضباب والظلال .. وقد بدأ سكاته يوما
جديدا من العمل ..

وادي العميان الذي ظن أنه سيكون ملكا له ..
(أبريل ١٩٠٤)

★ ★ ★



غزاة البحر

غزاة البحر

- ١ -

قل العلم يجهل كل شيء عن النوع المسمى
(هابلوتوئس فيروكس) حتى وقعت تلك الأحداث
المذهلة في (سيد ماوث) .. كل ما كان لدى العلماء
هو ممن مهضوم وجدوه قرب جزر (أزور) ..
وجسد متحلل وجدوه قرب (لاندز إند) بوساطة السيد
(جنتجز) في عام ١٨٩٦

ولا يخيم الظلام على أي مجال من مجالات علم
الحيوان مثلما يخيم على (الرأسقدميات) التي تعيش
في أعماق البحر .. وقد كانت مجرد مصادفة هي التي
جعلت أمير (موناكو) يكتشف اثني عشر نوعاً جديداً
منها في عام ١٨٩٥ وهي المصادفة التي وجد فيها ذلك
المصن الذي تحدثنا عنه ..

ويسدو أن تلك المخلوقات الصلابة التي تعيش في
أعماق البحر ستبقى أبداً لغزاً بالنسبة لنا .. لأننا لانجد
العينات إلا في ظروف غير متوقعة ..

فمثلاً فيما يتعلق بالـ (هابلوتوئس فيروكس) : نحن
نجهل موطنها .. تماماً كما نجهل أماكن توالد أسماك

الرتجة ومسارات هجرة (السلامون) .. ولا يستطيع
علماء الحيوان أن يفسروا لنا سبب ظهورها المفاجئ
على سواحلنا .. ربما كان ذلك بسبب الجوع الذي
يدفعها لمفادرة الأعماق .. لكن الأصوب هو أن نتحاشى
المناقشات غير المجدية وأن نبدأ في قصتنا فوراً ..

كان أول رجل يرى الـ (هابلوتوئس) — بعبارة
أخرى — أول رجل حي .. لأن المؤكد الآن أن وفيات
الفرق وحوادث الزوارق التي اجتاحت خلجان (ليفربول)
و (ديفون) في أول مايو كانت بسبب تلك الكائنات كان
هذا الرجل تاجر شاي متقاعد يدعى (فيزون) .. وقد
توقف في (سيدماوث) لفترة ..

كان الوقت ظهراً وهو يمشى من (سيد ماوث) إلى
خليج (لادرام) : حين أثار اهتمامه ما بدا له كحشد
من الطيور تتقاتل على شيء له لون أبيض متورد في
ضوء الشمس ..

كان هناك الكثير من الفوارس تلتمع بشكل يخطف
البصر في النور ، وبدا له حجمها الصغير مقارنة بما
تلطف حوله .. زاد هذا من فضوله إلى حد كبير ..

ولما لم يكن لديه شيء أفضل يسأل به نفسه : أزمع
أن يرى كنه هذا الجسم بدلاً من السير إلى (لادرام) ..

وقرر أن هذا بالتأكيد سمكة كبيرة الحجم ربماها الموج
وهي الآن تقاوم الهلاك .. من ثم راح يهبط المنحدر
ذا الدرجات وهو يتوقف من أن لآخر ليأخذ شهيقاً عميقاً .
حين وصل إلى أسفل كان بالتأكيد أقرب إلى هذا
الجسم مما كان .. لكن الشيء بدا له أكثر قتامة وعدم
وضوح .. وما كان وردى اللون فيه توارى الآن وراء
صخور غطتها الطحالب ..

لكن الرجل أدرك أن الشيء مكون من سبعة أجزاء
مستديرة .. وقد التحمت أو انفصلت ، وأن الطيور
تحدث ضوضاء مستمرة وصراخاً لكنها تهاب الشيء
وتأبى الدنو منه ..

مزق الفضول مستر (فيزون) .. وراح يشق دربه
بين الصخور التي أبلاها البحر ، وقد وجد أن الطحالب
المتراكمة فوقها قد جعلتها زلقة إلى حد غير معقول ..
توقف .. وانتزع حذاءه وجوربيه وثنى سرواله إلى
الركبتين .. وأحس بمتعة يعرفها كل إنسان .. متعة
العودة إلى أيام الصبا .. على أي حال .. من المؤكد أنه
يدين لهذا العمل بحياته ..

وصل إلى مقصده مطمئناً إلى الأمان المطلق لهذا
البلد من كل أنواع الحيوانات غير المرغوب فيها ..

وتحرك الشيء مهتزازاً .. لكنه لم يبال به .. لم يبال
حتى وصل إلى الصخور .. عندها فقط أدرك الطبيعة
المهولة لهذا الكائن .. وجاءه هذا الإدراك بشكل مفاجئ .
ابتعدت الأجسام المستديرة عن بعضها .. وأدرك أن
اللون الوردي هو جسم آدمي تم التهامه جزئياً .. وإن
استحال عليه معرفة أجسم رجل أم امرأة ..

أما الأجسام المستديرة ذاتها فكانت غريبة الشكل ..
تشبه الأخطبوط إلى حد ما .. لها مميزات عملاقة طويلة
جداً ومرنة وقد التفت حول نفسها على الأرض

الجلد براق كجلد مديوخ لا يسر الناظرين .. بينما
الممسات تحيط بالفم وقد أعطى هذا المشهد مع العينين
الذكيتين الكائن كله إيحاء غريباً بوجه آدمي ..

وأدرك الرجل أن هناك سبعة أو ثمانية من هذه
المخلوقات .. وعلى بعد عشرين ياردة ووسط مياه المذ
التي تعلو تدريجياً كان هناك اثنان اخران يخرجان من
الماء ..

تمدت الأجساد على الصخور ، ترمقه عيونها في
اهتمام شرير لكن لا يبدو أن الخوف قد انتاب مستر
(فيزون) .. ولا يبدو أنه أدرك الخطر المحيى به ..

لكنه - بالتأكيد - اشماز وشعر بالتوتر من تلك
المخلوقات العجيبة التي تتغذى على اللحم الأدمى ..
فكر في أنها قد ظفرت بجسم غريق .. فصاح فيها
محاولا إرغامها على العودة للماء ... ولما وجد أنها
لم تبال به التفت صخرة كبيرة ورماها على واحد منها .
وهنا - وهي تحرر ممساتها - بدأت المخلوقات
تتحرك نحوه .. وهي تزحف في تصميم واضح وتصدر
صوتا ناعما من بين صفوفها ...

هنا فقط أدرك مستر (فيزون) أنه في خطر ..
صرخ من جديد ورمى حذاءه .. ثم راح يركض ..
وعلى بعد عشرين ياردة توقف واستدار ليرى
سرعتها وقدر أنها بطيئة الحركة .. لكنه وجد ممسات
أولها تتلمس الصخرة التي كان يقف عليها منذ ثانية !
هذه المرة صرخ صرخة ثالثة وراح يثب .. يتعثر ..
ينزلق محاولا الوصول إلى الشاطئ .. ولم يدر من قبل
كم كانت المسافة كبيرة .. وهنا رأى عاملين عاكفين
على إصلاح سلم على الشط غير مرتابين في الشيء
الرهيب الذي يجرى بهما ، وكأنهما من عالم آخر ..
المخلوقات تتحرك في الماء خلفه على بعد خطوات ..
تعثر .. كاد يقع في الماء ...

طارده حتى الشاطئ .. ولم تتركه إلى أن بلغ
العاملين ..

فراح الرجال الثلاثة يقذفونها بالحجارة ثم ركضوا
إلى (سيد ماوث) بحثا عن العون وعن قارب .. حتى
يستقنوا الجسد الممزق من تلك المخلوقات الشرهة ..
- ٢ -

وكانما لم يلق ما يكفيه من المخاطر ؛ استقل مستر
(فيزون) القارب ليحدد لمن معه الموضع الذي وقعت
فيه مغامرته ..

كان المذ قد ولى ، واحتاج الأمر دوراتا لا بأس به
بالتقارب ليصلوا إلى البقعة .. لكن الجسد كان قد
اختفى .

كانت الرؤية عميرة تحت مستوى القارب . فيما
عدا غابة من (اللاميناريا) وسمكة هنا أو هناك ..
شعروا بخيبة أمل .. فهم قد أعدوا أنفسهم للمغامرة .
وهنا رأوا واحدا من المخلوقات يسبح متجها للبحر ..
وهو يتحرك حركة لولبية عجيبة ذكرت مستر (فيزون)
بدوران بالون حول نفسه وهو مربوط بخيط ..

تحرك الماء واجتاحت دوامة غابة (اللاميناريا)
للحظة .. استطاع بعدها القوم أن يروا اثنين من هذه
المخلوقات ، وهما يتقاتلان حول ما يبدو أنه جزء من
جسد الغريق ..

وسرعان ما عادت خيوط (اللاميناريا) الخضراء
تغطي ذلك المشهد .. راح الرجال — الذين تهيّجت
مشاعرهم — يضربون الماء بالمجاديف ويصرخون ..
وعلى الفور رأوا حركة صاخبة بين الطحالب .. وعندها
بدأ لهم قاع الماء كله زاخراً بالعيون ! ..

« يا للبشاعة ! » — صاح أحد الرجال — « إن هناك
عشرات منها ! »

وبدأت الأشياء ترتفع من الماء نحوهم ..

وفيما بعد وصف مستر (فيزون) لكاتب هذه
السطور ذلك المشهد .. لقد بدا له كأنما استغرق وقتاً
لابأس به لكن من الواضح أنه لم يستغرق سوى ثوان
معدودة ..

في البدء لم يروا سوى أعين .. ثم رأى الممسكات
تخرج من كل صوب باحثة هنا وهناك .. ثم إن هذه
الأشياء راحت تتضخم حتى غطت القاع كله .. ورأوا
الممسكات تخرج فوق سطح الماء ..

في جسارة تحمس واحد منها جانب القارب .. كان
مليناً بالممصات والتفت حول الدفة كأنما ليفرق القارب
أو يصعد إليه ..

أمسك مستر (فيزون) بخطاف .. وهرع نحو
الممس وضربه بعنف ؛ ليرغمه على الانسحاب .
وهنا تلقى ضربة عنيفة على ظهره كان مصدرها
صاحب القارب ، الذي أمسك بالمجداف وراح يصد
هجمة مماثلة على الجانب الآخر ..

وسرعان ما عادت الممسكات إلى الماء

قال مستر (فيزون) وهو يرتجف :

« من الخير لنا أن نغادر المكان .. »

بدأ الرجال يجذفون .. على حين وقف واحد منهم
عند المقدمة ممسكاً بحربة ، مستعداً لضرب أية ممسكات
جديدة تظهر ..

المزاج متعكر صامت .. والوجوه شاحبة .. كانوا
يحاولون الفرار من المكان الذي هوجموا فيه بشراسة .
لكن المجاديف لم تكد تلمس الماء ؛ حتى التفت
حولها حبال أفعوانية مدبية .. التفت حولها وحول الدفة
وزحفت إلى سطح القارب بحركة لولبية بطيئة ..

كان التجديف شبه مستحيل ..

صرخ من كان يجدف :

« الغوث ها هنا ! »

فهرع (فيزون) ورجل آخر : ليعيناه على التمسك بالمجداف .. أطلق الرجل ذو الحربة - واسمه (إيوان) - سبة وراح يضرب إلى جانب القارب .. حشد الممسكات الذي ظهر له ..

في نفس اللحظة حاول الرجلان الاخران استعادة مجدافيهما ..

فتح صاحب القارب مطواته ، وانحنى على جانب القارب ، وراح يمزق الأذرع الملتفة حول المجدافين .. وألقى مستر (فيزون) نظرة إلى البحر وهو يرتجف وأسناته تصطك من اهتزاز القارب ..

عندها رأى على بعد خمسين ياردة قاربا فوق أمواج المذ .. قاربا به ثلاث نساء وطفل .. وكان هناك نوتى يجدف .. ورجل ذو قبعة من القش وقف على ظهر القارب يحييهم ..

في البدء فكر (فيزون) في أن هذا معناه الغوث .. ثم تذكر معنى وجود طفل ..

ترك المجداف ولوح بذراعيه بإشارة مجنونة .. وتوسل إلى المجموعة أن يرحلوا « بحق السماء ! » . ومن الجميل هنا أن نلاحظ تواضع مستر (فيزون) الذي لم ير بطولة في هذا العمل .. لكنه كان عملاً بطولياً حقاً : لأن المجداف قد غاص تحت الماء وعاد يطفو على بعد عشرين ياردة ..

هنا شعر بالقارب يهتز من تحته .. وسمع صرخة رعب مخيفة من (هيل) - صاحب القارب - مما جعله ينسى القادمين ..

استدار ليرى (هيل) وقد تقلص وجهه ألماً ورعباً ، وذراعه اليمنى قد تدلت على جانب القارب بينما شيء ما يجذبها بقوة ..

« أوه .. أوه ! أوه »

من العسير أن نعرف ما حدث بالضبط .. كل ما نعرفه هو أن القارب قد مال بشدة .. وأن (إيوان) والآخرين راحوا يضربون الماء بالمجداف والحربة على جانبي ذراع الرجل ..

كان (هيل) قوى البنيان .. وبذل جهداً جهيدا حتى هب واقفاً .. وبالفعل أخرج ذراعه من الماء .. وكانت

الذراع ملفوفة بخيوط بنية معقدة .. وظهرت فوق سطح البحر عين لامعة لأحد الوحوش التي هاجمته .. ظهرت للحظة ..

الآن يميل القارب أكثر ويتدفق الماء بقزارة إليه .. عندها انزلق (هيل) ليسقط من جانب القارب إلى الماء .. اصطدم حذاؤه بركبة (فيزون) حين حاول هذا أن يمسكه .. وفي الثانية التالية أحاطت به الممسكات .. قاومها مقاومة متشنجة قصيرة ثم غاص إلى الماء .. واعتدل القارب من جديد ..

وقف (فيزون) يتأرجح ليسترد توازنه وقد أدرك أن المعركة قد قرّبت القارب من الصخور المغطاة بالطحالب . خلال ثانية كان قد انتزع المجداف من (إيوان) . وضربه في أرض القارب ووثب .. ف شعر بقدميه تنزلقان فوق الصخور الزلقة .. تعثر .. وقف على قدميه .. تعثر ثانية ..

« خذ الحذر ! »

دوى صوت أحدهم .. واصطدم به جسم عملاق .. فسقط (فيزون) أرضاً وهو يسمع صرخات مختنقة متحشجة حسب مصدرها (هيل) ...

وثب فوقه شخص ما .. واندفع دفع من الماء الرغوى فوقه .. نهض على قدميه ولم ينظر للماء .. ركض بأسرع ما جعله ذعره يركض .. ورأى رجلين يركضان أمامه مبتعدين ...

نظر وراءه إلى الماء .. كان مذهولاً من سرعة الأحداث منذ برزت لهم تلك الراسخديات من الماء كان يتصرف بأسرع مما يستطيع فهم تصرفاته .. والآن فقط يشعر أنه صحا فجأة من كابوس شيطاني .. السماء بلا غيوم تلتع بشمس الظهيرة . والبحر ينن تحت ضيائها غير الشفيق ..

كل ما حدث قد ولى كأنما لم يحدث قط .. نظر إلى الوراء .. فرأى قاربين مقلوبين في عرض البحر ..

- ٣ -

كانت هذه هي (هابلوتوش فيروكس) تعلن عن وجودها على ساحل (ديفونشاير) ..

وحتى هذه اللحظة تعتبر هذه أخطر اعتداءاتها .. إن قصة ممستر (فيزون) ، مع حوادث الاختفاء المتكررة ، وهروب السمك من هذا الساحل في ذلك العام .. كل هذا يشير إلى أن وحوش القاع هذه كانت تفرح تحت خط الماء في هذا الساحل ..

أعرف أن هناك من يرجحون هجرة الجوع كقوة
دفعت تلك الوحوش إلى المجيء ؛ لكن - من ناحيتي -
أفضل تلك النظرية البديلة التي اقترحها (همزلى) ..
يرى (همزلى) أن مجموعة من هذه المخلوقات
تزودت باللحم البشرى بعد غرق قارب بينها .. ودفعها
هذا لمغادرة موطنها المعتاد .. حتى وصلت إلى
شواطئنا ..

يبدو لي أن شهية هذه الوحوش قد أشبعها التهام
أحد عشر إنسانا ، لأن القارب الآخر كان يحمل عشرة
أشخاص .. ولا يوجد دليل على وجود المخلوقات في
مكان آخر من (سيد ماوث) يومها ..

وعندما انتصف الليل دوت صفارة مذعورة من
قارب في وسط البحر على بعد ميلين جنوبى غرب
(سيد ماوث) ، ورأى البعض فاتوسا يرتفع ويهبط
بطريقة غريبة ..

هرعت القوارب الدائبة نحو مصدر الاستغاثة ،
واتضح أن راكبي القارب قد رأوا حقا تلك المخلوقات
تمر تحت قاربهم .

يبدو أن هذه الكائنات - كأكثر كائنات الأعماق - كان

لها وهج قوسفورى وقد بدا منظرها مرعبا فى سواد
الماء .. وكانت ممساتها مطوية كأنما هى نائمة ..
بينما تتحرك ببطء نحو الجنوب ..

لكن القوارب التى جاءت لم ترغب فى مطاردة هذه
الكائنات ..

نحن لا نعلم اتجاه هذا السرب برغم كون الساحل
الجنوبى الغربى يعلم كله بوجوده

بعد هذا بأسبوعين وثلاثة أيام ظهر (هابلوتوش)
على رمال (كاليه) .. وكان حيا لأن شهودا عديدين
رأوا ممساته تتحرك .. وقد قام سيد يدعى (يوشيه)
بإطلاق الرصاص عليه ..

وكان هذا آخر ظهور لـ (هابلوتوش) حتى ..
إلا أنه فى اليوم الأخير من (يونيو) كان
المستر (إجبرت كين) - رسام - يستحم قرب
(نيولين) .. وفجأة صرخ ولوح بذراعيه ثم جذب
إلى الأعماق ..

ولم يحاول صديق يستحم بقربه أن ينقذه ، بل سبح
إلى الشاطئ قورا ..



وهذه هي آخر حقيقة تقال عن غزاة البحر هؤلاء ..
ومن سبق الأحداث أن نقول : إن هذا هو الهجوم الأخير
لتلك المخلوقات الشنيعة .. لكننا نعتقد - وبالطبع
نأمل - أنها قد عادت لأعماق البحر .. إلى الأعماق
المظلمة التي غادرتها دون سبب واضح .

(ديسمبر ١٨٩٦)

★ ★ ★

القلنسوة الأرجوانية

كان مستر (كومبس) يشعر بالسأم من الحياة ..
لقد غادر داره القصبة شاعراً بالسأم لا من وجوده
هو فحسب ؛ بل من وجود كل إنسان سواه ..
وعبر ممر (جازويرك) مشى ليتفادى المدينة ،
واجتاز الجسر الخشبي ؛ ليصل إلى أشجار الصنوبر ،
بعيدا عن رؤية وسماع أى وجود إنسانى .. وراح يردد
دون كلل أنه لن يتحمل المزيد ...

كان رجلاً شاحباً له عيان سوداوان وشارب
دقيق كث ، وله ياقة مرتفعة قليلاً مما يعطيه إحياء
بازدواج الذقن ... ومعطفه - برغم كونه رثا - مطعم
بالإستراكان ..

وكما قالت له زوجته - فى الأيام الخالية السعيدة قبل
زواجهما - كان مظهره له صبغة عسكرية ما ..

وكما تقول له زوجته الآن - ويا له من شيء مخيف
أن تقوله زوجة لزوجها - فهو يبدو كدودة صغيرة ..
ولم يكن هذا أسوأ تشبيه أطلقته عليه ..

كانت هناك من تدعى (جينى) .. وهى صديقة
زوجته ، ومن دون دعوة كانت تأتى للعشاء فى كل أحد
مبارك .. كانت امرأة صاخبة تهوى الألوان الفاقعة
والضحك المبتذل .. وقد فاقت كل مخافاتها السابقة هذا
الأحد حين أحضرت معها شاباً مزخرفاً مثلها للعشاء فى
دار مستر (كومبس) ..

وجلس مستر (كومبس) فى بلاهة يرمى زوجته
تثرثر بالمخافات مع ضيفيها وتضحك بصوت عال ..
حسن .. على كل حال لقد تحمل هذا .. وبعد العشاء
لا بد أن تنهض مس (جينى) إلى البياتو لتعرف صخباً
لا ينتهى .. إن الدم واللحم لم يخلقوا لاحتفال كل هذا ..
سيمسح كل الشارع هذا الصخب .. ولنسوف تتدهور
سمعته .. عندها أراد أن يتكلم ..

شعر بأنه يشحب ولاقى عسراً فى التنفس .. كان
جالسا على مقعد جوار النافذة ، وقد انتخب الضيف
لنفسه (الشيزلونج) المريح .. حين أدار (كومبس)
وجهه وصاح كأنما يوجه إنذاراً :

- « إنه الأحد ! »

ثم عاد يكررها :

- « الأحد ! »

استمرت (جيني) تعزف .. أما زوجته فسألتها وهي
تتصفح بعض الكراسات الموسيقية فوق البياتو :

- « وما في ذلك ؟ ألا يستطيع القوم أن يسرّوا عن
أنفسهم ؟ »

- « لا أمانع في التسلية العاقلة .. لكني لا أسمح بهذا
الصخب في داري في يوم أحد .. »

توقفت (جيني) واستدارت بجسدها فوق مقعد
البياتو :

- « وما العيب في عزفي ؟ »

انفتح (كومبس) بعنف كما يحدث مع كل الرجال
العصبين الذين لا خطر منهم :

- « اعتدلي على هذا المقعد .. فهو لا يحتمل الأثقال »

- « لا تلي بالآللثقال .. ماذا كنت تقول عن عزفي

من ورائي ؟ »

ابتسم الضيف في شفقة ، ونفت سحابة من دخان
السيجار ..

وقالت الزوجة لصاحبتها شيئاً من قبيل « لا تهتمي

به .. وواصل العزف يا (جيني) .. »

- « سأفعل ! »

وصاحت الزوجة :

- « لم أر رجلاً على شاكلتك قط .. لقد تبدلت تماماً

منذ تزوجنا .. وقبلها كنت

وهنا بدأت (جيني) تواصل قرع المفاتيح .. تام ! ..

تام ! ..

هنا صعد الدم إلى رأس مستر (كومبس) فهب

واقفاً ورفع صوته :

- « اصفى لي ! لا أريد هذه الضوضاء ها هنا .. »

واهتز معطفه معلناً عن الكبرياء ..

قال الرجل وهو ينفت دخان السيجار :

- « لا داعي للاحتداد .. »

- « ومن أنت بحق الجحيم ؟ »

هنا بدأ الجميع يتكلمون في الوقت ذاته ..

قال الضيف : إنه مكلف بحماية (جيني) وذلك لأن

أمرها يهمه .. وقال مستر (كومبس) إن هذا من حقه

في كل مكان عدا داره هو (دار مستر (كومبس) .. وقالت

مسر (كومبس) لزوجها : إنه يجب أن يخجل من إهانة

ضيوفه وأنه - كما قلت آنفاً - قد تحول إلى دودة صغيرة.

ووصل الأمر نروته حين طلب (كومبس) من

ضيفيه مغادرة الدار .. لكنهما رفضا .. من ثم أعلن أنه

سيغادر الدار بنفسه ..

واتجه للمدخل ليأخذ قبعته ، ووجهه يحترق بالنار
ودموع الانفعال في عينيه .. عندها واصلت (جيني)
العزف على البيانو ..

تام تام تام 1.. حتى حين جذب الباب بعنف وراءه
فاهتز البيت كله ..

كان هذا - باختصار - هو سبب تفكر مزاجه .. لهذا
يمكننا الان أن نفهم سر سخطه على الوجود كله ..

★ ★ ★

كان هذا هو آخر شهر (أكتوبر) ..

وكانت الطحالب تملأ الخنادق والحفر وتكسو نباتات
الشربين .. حينما راح يتذكر قصة زواجه .. كانت
مختصرة وعادية ..

الآن يعرف أن زوجته تزوجته لمجرد الفضول ،
وللفرار من حياتها السقيمة المملة كعامة .. وكأكثر
طبقتها لم تدرك - بغباء - أن واجبها هو معاونته في
عمله ..

كانت نهمة إلى المتعة وإلى حياة المجتمعات ، وقد
أحبطها أن تجد أن قيود الفقر مازالت تحاصرها .. كلما
حاول (كومبس) أن يهدئ انفعالاتها ازدادت سخطا ..
لماذا لا تكون لطيفا ؟

وكان مستر (كومبس) رجلاً وديفا مسالما اعتاد أن
يعين نفسه وأن ينكرها .. حتى وصل إلى (الاكتفاء
الذاتي) ..

عندها جاءت (جيني) مثلما جاء (مفستوفوليس)
الشيطان إلى د . (فاوست) ليجعله يبيع روحه ..
وراحت تقنع زوجته بارتياح المسارح و (ما إلى ذلك) ..
أضف إلى هذا حالات زوجته وأخوالها الذين دأبوا
على زيارتهما ليلتهما رأس ما لهم ويهينوه ويضايقوا
العلاء .. وعامة ليسودوا حياته ..

لم تكن هذه أول مرة يغادر فيها داره في غضب ،
يقسم بصوت عال إنه لن يقبل المزيد .. لكنه لم يكن
من قبل قد وصل إلى هذه الدرجة من مقت الحياة ،
ربما ساعدت السماء الرمادية على ذلك .. وربما إدراكه
أنه قد وصل إلى الحضيض في حياته كرجل أعمال ..
فلم يبق أمامه سوى الإفلاس .. وبعدها الندم على تلك
الزيجة ..

إن موقفه لمحزن .. ورأس ماله كله مربوط بتجارته ..
ومعنى أن يتفصل عن زوجته هو الانضمام إلى جيوش
المتعطلين في مكان ما من الأرض ..

إن ترف الطلاق بعيد عنه .. وتعريف الزواج بأنه الحياة معا في السراء والضراء يناسبه للغاية ...

إن البنائين حين يفضبون على زوجاتهم يركلونهن حتى الموت .. والتبلاء يخونون زوجاتهم .. أما بين الموظفين محدودى الدخل وأصحاب المحلات فتتفشى عادة الذبح .. ويمكنك أن تتق بكلامى حين أقول : إن عقل مستر (كومبس) راح يفكر فى وضع نهاية مناسبة لإحباطاته .. فراح يفكر فى حذ موسى والمسدسات وسكاكين الخبز .. وراح يكتب فى ذهنه خطابات مؤثرة يذكر فيها أسماء أعدائه ويطلب المغفرة لروحه ..

بعد قليل أفسحت شراسته المكان للأحزان ..

لقد تزوج بنفس المعطف الذى يرتديه الآن .. كاتا يمشيان فوق ذات الدرب ، وكان يكافح ليجمع رأس مال كافيا ، والبريق اليتاع لأيام الزواج الأولى .. ثم انتهى كل شيء هكذا ! ..

بدا يفكر فى الموت كحل أخير جذرى ..

فكر فى القتاة التى عبرها .. لم لا يفوض فيها للأبد ؟ وبينما هو ينفذ ما اتّواه رأى القلنسوة الأرجوانية .. توقف لحظة وتأملها .. ثم اتحنى كى يلتقطها وقد حسبها

حافضة جلدية مزخرفة .. وهنا أدرك أنها قمة فطر .. فطر أرجوانى من النوع المسام .. براق له رائحة حادة .. كانت الرائحة قوية حادة لكنها غير منفرة .. كسر قطعة من القشرة فوجد مادة بيضاء كريمية تغيرت خلال عشر ثوان - كأنما هو سحر - إلى لون أصفر مخضر .. كسر جزأين آخرين ليرقب هذه الظاهرة .. أشياء رائعة تلك الفطريات - خطر له - ولكنها سامة مميتة .. هكذا قال أبوه مرارا .. سامة مميتة ! ..

إن الوقت مناسب للحماقات .. لم لا يكون هذا الآن وهنا ؟

تذوق قطعة صغيرة جدًا من الفطر .. كان حاد المذاق إلى حد أنه كاد يبصقه ثم بدا له حارًا متبلاً كالمسطرودة الألمانية .. ابتلعه كاملاً .. ترى هل أحب مذاقه أم لا ؟ لم يبال بهذا ونسى كل متاعبه فى نشوة الحاضر .. إنه يلعب مع الموت الآن .. قضمة أخرى .. ثمة شعور غريب بالتعميل على طرف لسانه وأطراف أنامله .. ونهضه يتسارع ويصفر فى أنفيه ..

« فلأجرب قطعة أخرى ! »

لم تعد قدماه ثابتتين .. لكنه ترنح حتى وصل لقلنسوة أرجوانية أخرى :

- « شيء .. شيء .. له .. شيء .. لذيذة ! »

واتكفأ على وجهه ..

بعدها نسي كل شيء

نهض شاعراً بالحيرة .. ووضع يده على حاجبه ..
لقد حدث شيء ما لكنه لا يذكر كنهه .. لكنه الآن يشعر
بالذكاء .. بالحيوية .. وضحك من أعماق قلبه .. هل
كان خمولاً فيما سبق ؟ لا يدري .. لكنه لن يظل كذلك ..
إن الضباب يملأ ذاكرته لكنه يذكر شيئاً عن مشاجرة في
الدار .. لم لا يعود لهم ويجلب معه بعض هذا الفطر
الجميل ؟ سيملاً قبعته به ..

سيقلب كمي معطفه إلى الخارج - على سبيل المرح
- ويلصق بعض الزهر الأصفر على جيوب معطفه ..
ويعود للدار مغتياً ..

★ ★ ★

بعد ما فارق الدار غاضباً : توقفت (جيني) عن
العزف واستدارت بمقعد البيانو هاتفة :

- « يا لها من ضوضاء من أجل لا شيء ! »

قالت مسر (كومبس) :

- « هأنذا ترى ما على أن أعانيه يا مستر
(كلارنس) .. »

قال مستر (كلارنس) في حكمة :

- « إنه رجل مندفع قليلاً .. »

- « إنه لا يدرك مركزنا الاجتماعي .. هذا هو
ما أشكو منه .. لا يبالى بشيء سوى متجره العتيق ،
فإذا حاولت شراء شيء يجعل مظهرنا محترماً كان
الشجار حتمياً .. ويصرخ بأشياء من قبيل (الاقتصاد) ..
(الكفاح) من أجل العيش) .. إنه يسهر الليالي موزقاً
يفكر في كيفية حرمانى من شلن .. بل لقد حاول مرة
إقناعى بأكل زبدة (دورسيه) .. ولو أنني استسلمت
لمطالبه .. عندئذ

قال مستر (كلارنس) مسترخياً على الشيزلونج :

- « لو أن المرء يعرف قيمة المرأة فعليه أن يضحى
من أجلها .. عن نفسه لا يمكن أن أفكر في الزواج
حتى في وضع يسمح لى بأن أتزوج بشكل لائق .. »

قالت (جيني) :

- « لا أوافق على ذلك .. فلم لا يطلب المرء عون
زوجته طالما هو لا يعاملها بشكل حقير ؟ »

قالت الزوجة :

- « لن تصدقائى .. لكنى كنت حمقاء حين وافقت
عليه .. ولولا معونة أبى ما كنا وجدنا عربة تقلنا بعد
الزفاف .. »

صاح (كلارنس) مصدوماً :

- « رياه !.. ألم يدبر هذا لك ؟ »

- « قال : إنه يحتاج المال للبضاعة - شيء من هذا الهراء - وبعد هذا يأتيني حاملاً أوراقاً وأرقاماً يولول من كثرة المصاريف .. لو لم نقتصد هذا العام فلنفسف يصيبنا الخراب .. فأقول له : لم لم تتزوج جارية - إذا أردت واحدة - بدلاً من بنت ناس مثلي ؟ »

دعونا لا نواصل هذه المحادثة العقيمة .. يكفي أن نقول : إنهم كانوا راضين عن رحيل مستر (كومبس) ، وجلسوا جوار النار فترة لا بأس بها حتى جلبت مسز (كومبس) أصوات الشاي ..

وهنا سمعوا ما يدل على عودة مستر (كومبس) .. صوت انغلاق الباب ..

قالت الزوجة :

- « هو ذا سيدى قد عاد .. غادر الدار كأسد وعاد كحمل .. »

هنا انفتح الباب وبرز مستر (كومبس) .. لكنه لم يكن هو .. لقد مزق البياقة العالية بإهمال عن عنقه .. وقبعته ملأى بالفطر ، وزهور صفراء تحيط بخاصرة معطفه ..

أما عن وجهه فكان شاحباً .. عيناه واسعتان تلتمعان .. وشفته قد تراجعاً كاشفتين عن أسنان مزمجرة ..

- « تسلية عاقلة !.. مرح !.. رقص !.. »

قالها ومشى ثلاث خطوات مترحة راقصة .. ثم انحنى ..

صرخت مسز (كومبس) :

- « جيم ! »

على حين فتح (كلارنس) قاه في غباء .. قالت (جينى) بصوت واهن :

- « إنه ثمل !.. »

لكنها لم ترقط رجلاً بهذا الشحوب .. ولا هاتين العينين المتسعيتين ..

مذ مستر (كومبس) يده بحفنة من الفطر .. وصاح في (كلارنس) :

- « صنف حلو !.. مذ يدك ! »

وهنا بدأ يثور .. وصرخ بصوت لم تسمعه زوجته من قبل :

- « هذا بيتى .. وأنا السيد هنا .. كل ما أعطيه لك ! »

هنا أعلن (كلارنس) عن جبنه .. لم يتحمل النظرة المجنونة في عيني (كومبس) .. انهض من مقعده وتراجع ..

عندها وثب (كومبس) إليه .. وجدت (جينى) أن هذه فرصتها .. فأطلقت صرخة وهرعت للباب .. لحق الزوج بها .. وحاول (كلارنس) التدخل لكن عربة الشاي تهشمت إذ أمسك به (كومبس) من يافته وحاول أن يدس الفطر فى فمه ..

اختبأت (جينى) فى المتجر الذى كان ملحقا بالبيت .. أما (كلارنس) ففر إلى المطبخ .. واندفعت الزوجة خارج الغرفة وأغلقت الباب وراءها لكن المفتاح كان بالداخل .. من ثم هرعت إلى الطابق العلوى وأغلقت غرفة النوم وراءها ...

خرج الزوج (المرح) من الغرفة .. وتحير بين ثلاثة اتجاهات مختلفة ثم أزمع الهجوم على المطبخ حيث كان (كلارنس) يحاول جاهدا غلق الباب .. ثم تخلى عن محاولته وحاول الفرار من الباب الخلفى لكنه وقع فى الشرك قبلها ..

ولما كانت هناك سكاكين وسواطير لحم حولهما ؛ فقد رأى (كلارنس) أن يتظاهر بالمرح ليتفادى أية أحداث مأساوية .. ولاشك هنا أن مستر (كومبس) تلاعب بمستر (كلارنس) حتى النهاية .. لقد بدا الرجلان فى قمة الألفة والمرح كما لو كانا صديقين منذ أعوام ..

وأصر (كومبس) أن يتذوق ضيفه الفطر ... ويبدو لى أن (كلارنس) قد تم جره تحت الحوض ، وتم حك وجهه بفرشاة تنظيف الفرن .. لكنه ظل مصرا على أن يكون مرحا .. وعلى كل حال - بشكل ما - وجد نفسه فى معطفه وقد طرد من الباب الخلفى .. ممزق الثياب .. مبعثرا ..

وهنا بدأ مستر (كومبس) يفكر فى (جينى) .. لقد وجدت نفسها عاجزة عن فتح باب المتجر الأمامى .. لكن الباب الخلفى ظل موصدا .. من ثم قضت باقى الليلة حبيسة المتجر .

يبدو لى هنا أن مستر (كومبس) عاد إلى المطبخ باحثا عن المرح .. حيث شرب خمس زجاجات من الشراب المقوى الذى كانت زوجته تحتفظ به لصحتها .. أحدث جلبه مريعة وهو يهشم أعناق الزجاجات بأطباق (جهاز) زوجته ، وغنى أغانى مرحة شتى .. وجرح إصبعه مرة - وهو الدم الوحيد الذى سال فى قصتنا هذه - وعلى كل حال يمكننا أن نسدل الستار على أحداث هذا الأحد الدامى .. فقد انتهت فى القبو بنعاس طويل عميق ..

★ ★ ★

بعد خمس سنوات .. هو ذا مساء الأحد فى
(أكتوبر) من جديد .. ومستر (كومبس) يمشى بين
أشجار الصنوبر ..

لم يزل هو ذات الرجل الذى عرفناه .. لكن ذقته
المزدوجة قد تلاشت .. ومعطفه جديد محلى بالمخمل ..
قبعته لامعة وقفازاه جديدان .. ويمكن لملاحظ عابر أن
يرى انتصاب هامته كرجل يثق بنفسه جيداً ..

الآن هو سيد له ثلاثة معاونين .. وجواره يمشى
شبيه له هو أخوه (توم) الذى عاد من (أستراليا) ..
وكان يقول لـ (كومبس) :

« عمل طيب أيا (جيم) .. وسط هذه المنافسة
أنت محظوظ كى تحسن تولى أمورك .. ومحظوظ أن
تجد زوجة تعينك مثلما تفعل زوجتك ! .. »
قال (كومبس) :

« بينى وبينك لم يكن الأمر هكذا دائماً .. »

« بحق السماء ! »

« نعم .. لن تصدق هذا .. لكنها كانت مبنرة
مشاكسة .. وكنت أنا مسالماً محباً فظننت أنها تملك كل
شئ .. أؤكد لك يا (توم) .. لم تكن الدار دارى .. »
« لم أحسب هذا .. »

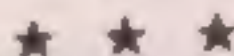
« كان كذلك .. لكنى قلت لها : أنا لست دوقاً
لأحتفظ بزوجة كأنها حيوان أليف .. لقد تزوجتك
لتساعدنى فى كفاحى .. لكنها لم تصغ .. قلت لها : أنا
رجل وبيع حتى أثار .. لكنها لم تصغ لتحذيرأتى .. »
« وعندئذ ؟ »

« كذا النسوة دائماً .. لم تحسبنى قادراً على
الثورة .. إن النسوة مثلها - وليكن هذا بيننا يا (توم) -
لا يحترمن الرجل ما لم يخفنه قليلاً .. لهذا عزمت
على أن أريها .. كنت هناك من تدعى (جينى) مع
صديقها .. تشاجرنا فاتفجرت فيهم .. »
« أحقاً ؟ »

« طبعاً .. كنت مجنوناً .. ضربت هذا الشاب
لأريها ما بوسعى عمله .. ضربته علقه ساخنة وكسرت
أشياء .. أفزعته حتى قرت إلى غرفة النوم .. »
« ثم ؟ »

« فى الصباح قلت لها : الآن ترين كيف أكون
حين أثار .. وبعدها عمت السعادة الدار .. لولا تلك
الأمسية لكنت أتسول فى الطرقات الآن ، وعائلتها
تتذمر من فقرى . أنا أعرف أسلوبهم .. »
قال الأخ (توم) متأملاً :

- « النساء مخلوقات عجيبة .. »
 - « يحتجن يدا صارمة .. »
 هنا هتف (توم) وهو يتأمل المشهد أمامه :
 - « ما أكثر الفطريات هنا ! .. لا أفهم نفعها بتاتا .. »
 قال مستر (كومبس) :
 - « أعتقد أن الله خلقها لحكمة عالية .. »
 وكان في هذا عرفانا بالجميل للقلنسوة الأرجوانية
 التي أصابت هذا الرجل الوديع بالجنون إلى درجة الفعل
 الإيجابي ؛ ومن ثم تغيير مسار حياته بالكامل .
 (رأس السنة - ١٨٩٦)



[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٢٥٥٧
 ٩٧٧-١٦٣-٣٩٤-٥

المطبعة العربية الحديثة

١٠ شارع ٤٧ منطقة الصناعية بالعاصمة

لقدرة - ٢٨٢٧٩١٢ - ٢٨٢٥٥٥١



وادي العناكب

رحلة أخرى ممتعة مع أفضل ما كتب (هـ . ج . ويلز)
من قصص خيالية .. الفرار من مطاردة العميان
المحمومة بحثاً عنك .. التخطيط في وادي العناكب ..
البحث عن لغز متجر الدمى العجيب .. ثم الانحدار
إلى هاوية المحيط .. كل هذا وأكثر تجده بين دفتي هذا
الكتاب .. لك .. ولك وحدك !..

17